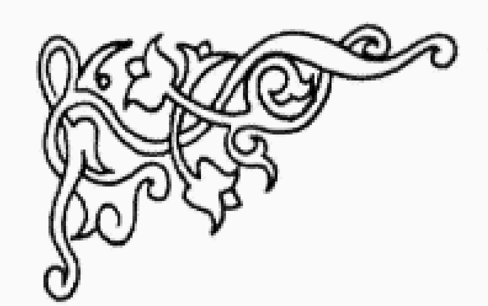


أعاصير مغرب

عباس محمود العقاد



نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع
أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة ١٩٣٨
www.nahdetmisr.com

بسم الله الرحمن الرحيم



بيانات الكتاب:

اسم الكتاب	ديوان أعاصير مغرب .
اسم المؤلف	عباس محمود العقاد .
إشراف عام	داليا محمد إبراهيم .
تاريخ النشر	أغسطس 2003م .
رقم الإيداع	2003/ 13054
الترقيم الدولي	ISBN 977-14-2334-7

بيانات الناشر:

الإدارة العامة للنشر	21 ش أحمد عرابي ـ المهندسين ـ الجيزة .
	ت: 3466434(02) – 3472864 (02) فاكس:3462576 (02) ص.ب: 21 إمبابة .
البريد الإلكتروني للإدارة العامة للنشر	Publishing@nahdetmisr.com

بيانات المطابع:

المطابع	80 المنطقة الصناعية الرابعة ـ مدينة السادس من أكتوبر .
	ت: 8330287 (02) – 8330289 (02) ـ فاكس: 8330296 (02) .
البريد الإلكتروني للمطابع	Press@nahdetmisr.com

بيانات مراكز التوزيع :

مركز التوزيع الرئيسي	18 ش كامل صدقي – الفجالة – القاهرة .	
	ت: 5909827 (02) – 5908895 (02) ـ فاكس 5903395 (02)	
	ص.ب: 96 الفجالة – القاهرة.	
مركز خدمة العملاء	الرقم المجاني: 08002226222	
البريد الإلكتروني لإدارة البيع	Sales @nahdetmisr.com	
مركز التوزيع بالإسكندرية	408 ـ طريق الحرية (رشدى)	Tel : (03) 5230569
مركز التوزيع بالمنصورة	47 ش ـ عبد السلام عارف	Tel : (050) 2259675

موقع الشركة على الإنترنت

كافة إصدارات شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع

تجدونها على موقع الشركة بالعنوان التالي

www.nahdetmisr.com الرقم المجاني 07775666

الإهــداء

إيه يا من أَوحت الشعر وخانت شاعرَهْ

لك أُهديه لِوَحيك

* * *

إيه يا من ليس يوحيه ويمسى ذاكرَهْ

لك أُهديه لرعيك

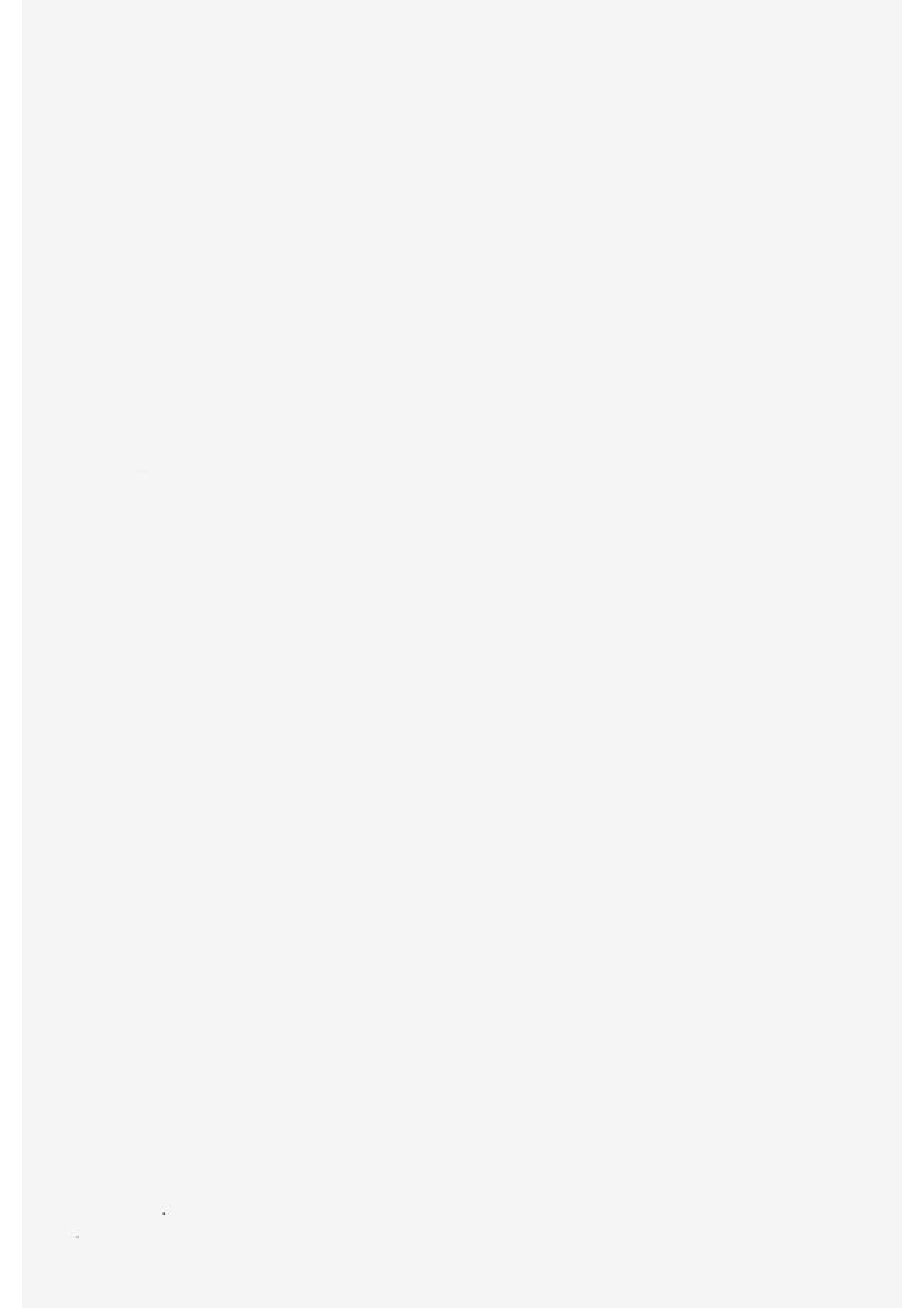
* * *

هكذا أبرأُ فى الحالين من حمد خيانة

وأَصون العهد ممن رام شعرى بصيانة

وأُدارى حيرتى خافيةً أَو ظاهرة !

* * *



المقدمة
فى اسم الديوان

شاعرٌ نرجع إليه كما نرجع إلى الصديق الذى نأنس به ونستطيب الكلام والصمت معه .

وشاعر نرجع إليه كما نرجع إلى الكتاب الذى نستمتع به ونحب القراءة فيه .

وبين الشاعرين فارق . فما هو ؟ أيكون الأول أصدق فى الشاعرية وأجزل فى العبارة وأجود فى الصناعة وأجمل فى الأسلوب ؟

قد يكون كذلك .

ولكنه كذلك قد لا يكون .

لأن الصديق الذى نأنس إليه ونستطيب الكلام والصمت معه لا يلزم أن يكون خيرًا من الغريب الذى لم نعرفه ولم نأنس إليه . فقد يكون بين الغرباء من هو أفضل من أصدقائنا خلقًا وأجمل سمتًا وأطيب سيرة . وإنما يحبب الصديق إلينا أنه يشاركنا فى الشعور ويعيش معنا فى عالم نفسانى واحد ، وتلك بعينها هى مزية الشاعر الصديق على الشاعر الذى نقرأه ولا نشعر له بصداقة . فهو ينظر إلى الدنيا كما ننظر إليها ويحس بها كما نحس بها ، وإن لم يكن كذلك واختلفت بيننا وبينه وجهة النظر ومذاهب التفكير فلعله مع هذا أقرب إلى تعزيتنا والنفاذ إلى ضمائرنا من شعراء

آخرين لا يبثون فى نفوسنا العزاء ولا يعرفون إلى ضمائرنا طريق نفاذ . أما الشاعر الذى نقرؤه ولا نصادقه فقد يجيد ويَفْضُل غيره فى الإجادة ولكنه غريب نلقاه كما نلقى كل غريب .

من الشعراء الذين نرجع إليهم رجوعنا إلى الصديق فى اللغة العربية أبو العلاء وابن الرومى والشريف .

ومنهم فى اللغات الأوروبية ليوباردى ، وهنريك هينى ، وتوماس هاردى ، وهذا فريدٌ عندنا فى هذه الخصلة بين المحدثين والمعاصرين .

رجعت إليه وأنا أفكر فى طبع ديوانى الجديد واختيار الاسم الذى يناسبه فقرأت له الأبيات التى يقول فيها :

«أنظرُ إلى المرآة ، فأرى هذه البشرة الذابلة تتقبض ، فأتوجه إلى الله مبتهلا إليه : أسألك يا رب إلا ما جعلت لى قلبًا يذبل مثل هذا الذبول !

«إننى إذن لأحس برد القلوب من حولى فلا آلم ولا أحزن ، وإننى إذن لأظل فى ارتقاب راحتى السرمدية بجأش ساكن وسمت وقور .

غير أن الزمن الذى يأبى لى إلا الأسى قد شاء أن يختلس فلا يختلس كل شىء ، ويترك فلا يترك كل شىء ، ولا يزال يرجف هذه البنية الهزيلة فى مسائها بأقوى ما فى الظهيرة من خلجة واضطراب» .

فما أتممت هذه الأبيات حتى خطر لى الاسم الذى اخترته لهذا الديوان وهو «**أعاصير مغرب**» ، وإن لم يرد فى الأبيات ذكرٌ للأعاصير .

أعاصير مغرب ، اسم صالح لجملة الشعر الذى احتواه هذا الديوان . . . لأنه نظم وعالم الدنيا مضطرب بأعاصيره ، وعالم النفس مضطرب بأعاصيره ، ومنه ما يشبه الأعاصير التى هزت كيان «الشيخ» هاردى فتمنى من أجلها ذبولا فى القلب كذبول إهابه .

ورأيى فى الغزل الذى نظمه هاردى بين السبعين والثمانين ليس بالرأى الحديث ، فلم أعجب به اليوم لأننى صاحب ديوان بعد «وحى الأربعين» . . . بل أُعجبت به لأننى كنت أرى فى زمن الفتوة أن الشعور والتعبير لا ينتهيان بانتهاء الشباب ، ومتى بقى الشعور والتعبير فما الذى فنى من مادة الغزل والغناء ؟ .

واتفق منذ بضع عشرة سنة أننى كتبت فى هذا المعنى[1] وأن كتابتى فيه كانت بصدد الكلام عن هاردى الذى أوحى إلىّ اليوم اسم ديوانى الجديد . فأثنيت على غزله أجمل ثناء ، وقلت أجيب الأديب الأستاذ سيد قطب الذى استغرب إجادة هاردى شعر الغزل فى السبعين من عمره : «إن المسألة بعد ليست مسألة نظريات يرجع فيها إلى تباين الآراء والأذواق ، وإنما هى مسألة حقيقة لا ريب فيها ولا اختلاف عليها . إذ كل ما يجب علينا لنقول إن الشيخوخة تجيد الغزل أحيانًا . . . هو أن نعلم أن توماس هاردى نظم شعر الغزل بعد السبعين وأن ما نظمه بعد تلك السن كان جيداً مقبولا رضى عنه قراء الشعر واستزادوه ، وأنه كان هو من أسباب تلك الشهرة الذائعة التى أحرزها فى عالم الشعر بين قراء

---

(١) البلاغ الأسبوعى ٩ مارس سنة ١٩٢٨ .

الأدب الرفيع بعد اشتهاره بالرواية وحدها فى سن الشباب . فهل نظم توماس هاردى غزلا جيدا بعد السبعين؟ ! نعم . . . وإذا كانت نعم هى الجواب الذى لابد منه فلا حيلة للنظريات ولا لتعريفات الشباب والحب والغزل فى نفى هذه الحقيقة المقررة . . .» .

ثم قلت : «على أننا لو فرضنا أن توماس هاردى لم يُخلَق فى هذه الدنيا ولم يكن بين أيدينا هذا المثل القريب - ولا مثلٌ غيره من الشعراء الشيوخ الذين ساهموا فى المعانى الغزلية وبلغوا فيها بعض الإجادة أو كلها - فهل تمنعنا النظريات ومراقبة الظواهر النفسية أن ننتظر المعانى الغزلية بعد انقضاء الشباب ؟ أما نحن فنقول : لا ؛ لأن الحب شىء والغزل شىء غيره ، وإن كان الحب هو موضوع الغزل والمعنى الذى يدور عليه» .

«فالحب» عاطفة شائعة بين الناس ، بل شائعة بين من ينطق وما لاينطق . ولسنا نعنى الصلة الجسدية التى تنقضى بانقضاء دوافع الفطرة فإن هذه لاتسمى حبّاً ولا هى من العلاقات القائمة بين فرد بعينه وفرد آخر بعينه ، لأنها فوضى مشتركة بين جميع الذكور وجميع الإناث من فصيلة واحدة .

«ولكننا نعنى الصلة النفسية التى تجمع الفردين معًا بعلاقة لا يغنى فيها أى فرد آخر من الفصيلة . وقد ثبت للباحثين فى طبائع الأحياء أن بعض الطيور والحيوانات تتزاوج مدى الحياة وينتقل الذكر والأنثى منها آلاف الفراسخ بين أوروبا وأفريقية ثم يعودان من تلك الرحلة إلى حيث كانا سنة بعد سنة حتى يموت أحدهما أو يعتاقه عائق لا قدرة له عليه .

فالحب على هذا لا يستلزم الغزل لا فى الإنسان ولا فى غيره من الأحياء ، وإذا قلنا : إن لكل حى غزله الذى ينطق بما فى نفسه فليس يسعنا أن نقول : إن كل محب شاعر ، وإن كل متغزل فنصيبه من الحب مثل نصيبه من الغزل على السواء .

«إن الذين يقتلون أنفسهم حبّاً من غير الشعراء الغزليين أكثر جدّاً من الذين يبلغون فى الحب هذا المبلغ بين أولئك الشعراء . فلا ريب أن الشاعر لا يحسن الغزل بغير حب ، ولكن لا ريب كذلك فى أَن الحب قد يعلو حين يهبط الغزل ، وأَن الغزل قد يعلو حين يهبط الحب ، على درجات لا تناسب بينها فى العلو والهبوط» .

« . . . والشباب هو سن احتدام الشعور وهجوم الحياة ، ولكن أى شباب وأى شعور ؟ فقد يقضى الفتى أوائل شبابه ولا معنى للحب عنده إلا أنه «وظيفة فزيولوجية» مبهمة يساق إليها بغير هداية ولا تمييز . وقد يطلب الشريك فى الحب وهو لا يعلم ما الذى يطلبه فيه وما الذى يأخذه منه وما الذى يعطيه ؟ لأن الحب عنده هو جوعة جسدية أو نفسية يشبعها أى شريك يصادفه ويلفيه على مثل حاله من الرغبة والاشتياق . وقد يكون احتدام شوقه ناقصًا من حبه ، كما أَن احتدام الجوع فى الجائع يغنيه بكل طعام حاضر ، ويجعل الأكل هو المقصود لذاته ، لا الصنف ولا الطعم الذى يميز ذلك الصنف من سواه» .

«والحب على أتمه وأعمه وأقواه هو تفاهمٌ بين نفسين وامتزاج بين قلبين وجسدين ، وقبل أن يفهم الإنسان نفسه كيف ينشد التفاهم مع نفس حبيبه ؟ وقبل أن ينكشف له قلبه كيف يعرف

مواضع الكشف والحجاب من القلوب ؟ وقبل أن يكمل بناء جسمه كيف تكمل فيه رغائب الأجسام ؟ وقبل أن يعرف النساء كيف يعرف المرأة ؟ بل قبل أن يزاول الحياة كيف يزاول لباب العاطفة التى تنضجها الحياة ؟» .

«فليس الاحتدام هو الحب نفسه ، لأن هذا الاحتدام قد ينقص من الحب ، كما أن الحب قد يلهب الاحتدام فيمن لم يكن يعانيه» .

« . . . فللشباب حبه ، وللرجولة حبها ، وللكهولة بعد ذلك حب لا يشبه الحبين» .

« . . . وإذا تقضى الشباب وتقضت بعده الرجولة وتقضت بعدهما الكهولة فهل تنفد مؤنة الغزل وهل تبطل دواعيه ؟ كلا ! فهناك الحنين والتذكار وكلاهما مؤنة للغزل لا تنفد وداعية حاضرة فى كل حين . ولو سألنا الشعراء الذين عالجوا النظم فى خوالج النفوس شيوخًا وشبانًا لعلمنا منهم أن خير ما نظموه فى شوق أو حزن أو ألم أو خالجة ثائرة أيًا كان فحواها إنما كان كله من قبيل الحنين والتذكار . لأنهم ينظمون بعد فوات الثورة الداهمة واطمئنان اللوعة العارضة ، فيسلس لهم المعنى ويصفو الشعور من كدر الدخان والضرام» .

« . . . فلا عجب أن يجيد هاردى الغزل أو يجيده سواه من الشيوخ سواء أنظرنا إلى الحقيقة الواقعة التى لا ريب فيها أم نظرنا إلى المعهود من أطوار النفوس والقرائح . وقد يحسن أن نذكر بعد هذا أن إجادة هاردى فى الغزل لم تكن إجادة مطلقة يطمع فيها

كل شيخ ينظم القريض وتثبت له العبقرية ، ولكنها كانت إجادة هاردية عليها سمة الرجل وفيها طبيعة مزاجه التى لم تفارقه فى شباب أو شيخوخة» .

ومضت الأيام والسنون بعد كتابة هذا المقال فلم يكن فيما قرأت ولا فيما عرفت شىء يخالف ما بدا لى من هذا الرأى منذ نظرت فى حقائق العاطفة والتعبير . وأحرى أن نعلم مع الزمن أن العاطفة ألزم للحياة الإنسانية وألصق بها وأعمق فيها من أن تحصرها فترة واحدة أو تحتويها صورة أو يختمها عهد واحد . فهى - ككل شىء فى الحياة - تزداد فهمًا على طول المصاحبة وطول المراس والمساجلة ، وعلى حسب ازدياد الفهم يزداد التعبير ويزداد الاستكناه والتصوير . وبخاصة بين الذين يقضون حياتهم فى عالم الشعور والجمال ، وهو عالم الفنون والآداب ، وهم الشعراء والموسيقيون والمصورون والممثلون .

ويصح على هذا أن يكون الشباب عهد ابتداء العاطفة وافتتاحها على صورتها الأولى . أو هو العهد الذى تُفاجَأ فيه البنية بشعور جديد لم تكن لها به خبرة من قبل . فيشاهد عليها ما يشاهد على كل بنية تفاجئها حالة طارئة . فإن المفاجأة إذا عرضت لإنسان بدا لك فى حالة كحالة الشاب فى أول عشقه : وجهٌ ساهم وفم مفغور ، وطرف ذاهل ، ولسان معقود ، ونَفَس مطرود . . . وهذه هى الحالة التى يخيل إلى من يراها أنها العشق دون غيره ، مع أنها أحرى أن تدل على أن العشق مفاجأة لم تعهدها البنية ولم تألفها النفس فلم تزل بها حاجة إلى التثبت منها والرياضة عليها . ثم تأتى هذه الرياضة شيئًا فشيئًا مع تعاقب الأيام وتعاقب ألوان الشعور .

فى هذه الحالة - حالة المفاجأة - تتفتح النفس على عالم مسحور حافل بالصور والزخارف والأسرار ، وتجود القريحة بالمعنى البكر والخيال الطريف ، وتتسع للشاعر منادحُ للإحساس ولوصف الإحساس يركض فيها ركض السبق والتجلية إن كان من السابقين المجلّين . ولكنّ سحر المفاجأة يمتنع بعد قليل أو كثير فلا يمتنع عليه سبيل القول بامتناعه ، كالذى تسحره المدينة لأول نظرة فيصفها على التو والساعة فى الصورة المتوهجة التى أضفاها عليه سحرها . ثم يقيم فيها سنة وسنوات فلا يجهلها بعد معرفة ، ولا يعز عليه وصفها بعد قدرة . ولكنه يصفها غير مسحور ولا مبهور . فيخسر وصفه ذلك الوهج اللامع ثم يعوضه نفاذ النظرة وطول الخبرة وصدق المشاهدة ، كأنما تغيرت المدينة وهى لم تتغير بين النظرتين ، ولا أخطأ واصفها فى إحدى الحالتين .

وإذا كان هذا شأن المدينة المحدودة ، فكيف يكون شأن العالم النفسانى الذى ليست له حدود ؟ وكيف يستنفد هذا العالم الرحيب فى نظرة واحدة ولا سيما نظرة المفاجأة والمعرفة الأولى ؟ وكيف يفهم العاطفة الإنسانية من يحسبها ضيفًا يفارق الحياة بعد المصافحة الأولى ولا يعلم أنها هى صاحبة الدار ، وأنها هى هى الحياة ؟

فالأعاصير الطاغية تعصف على العالم النفسانى حيثما تشاء على اختلاف الأوقات والأجواء ، وليست أعاصير المغارب بدعًا فى عالم الأكوان ولا فى عالم الإنسان .

وقد أشار علىّ صاحبنا هاردى فأحسن المشورة فيما اخترت لتسمية هذا الديوان . فقد نظمته بين ثوائر الأفكار وثوائر الحروب

وثوائر الصدور ، فلو بحثت له عن عنوان أدل على ما فيه لانقطع عنان الاختيار دون المراد .

* * *

سألنى صديق يرى أننى تشاءمت من حيث يتفاءل فقال : ولم استعجلت المغرب وقد أجله صاحبك هاردى إلى ما بعد السبعين بل الثمانين ؟

قلت : يا صديقى اقرأ أبيات بيرون إن شئت ولا تقرأ أبيات هاردى إن لم تشأ . . . فإنما هى حالة تلم بالرجل فيما قبل الأربعين كما تلم به فيما وراء السبعين .

وبيرون ماذا قال فى السادسة والثلاثين ؟ ماذا قال وهو فى يقظة الحياة ومعترك النضال ؟

نظم تلك الأبيات التى سماها بعضهم «عيد ميلاد أخير» فقال :

«آن لهذا القلب أن يسكن ، مذ عز عليه أن يحرك سواه ، ولكننى وقد حُرمت من يَهْوى إلىَّ ، حسبى نصيبًا من الحب أن أهْوى .

إن أيامى لمكتوبة على الورقة الذاوية . إن زهرات الحب وثماره ذهبت إلى غير رجعة . إنما السوس والديدان وحسرة الأسى ، هى لى . . . لى وحدها تحيا .

وهذه النار التى تأكل الحنايا ، كأنها جزيرة بركان فى عزلة قاصية حممها لا توقد جذوة أُخرى ، وإنما هى نار تبيت على سرير الردى .

وتلك الأشواق والأوجال والهموم الغَيرى . ذلك الحظ المقسوم

من اللوعة العليا . تلك القدرة على الهيام والهوى . ليس لى منها حصة تبقى ، فما لأغلالها فى عنقى لا تنزع ولا تبلى ؟» .

* * *

نظم بيرون هذه القصيدة فى عيد ميلاده السادس والثلاثين ، ولم يكن يعلم أنه عيد ميلاده الأخير الذى لا حب بعده ولا حياة ، ولكنْ هكذا كان على ما أراد - أو على غير ما أراد - فماذا تغنى السنون القصار أو السنون الطوال ؟ إنما هى حالات تلم بالنفوس فى كل حين ، وإنما التفاؤل والتشاؤم لسانان يقولان ، والزمن وحده يصدقهما أو يكذبهما فيها يقولان .

فإن تشاءمت أيها الصديق بأعاصير الغروب فاذكر متفائلا أن ساعات الغروب هنا بغير حساب . فمنذ سنين جمعت دواوينى الشعرية فسميت الجزء الأول منها «يقظة الصباح» وسميت الجزء الثانى «وهج الظهيرة» وسميت الثالث «أشباح الأصيل» وسميت الرابع «أشجان الليل» . . . ثم ظهرت لى بعد ذاك الليل وأشجانه ثلاثة دواوين هى : وحى الأربعين ، وهدية الكروان . وعابر سبيل ، ثم ها نحن أولاء فى هذا المغرب وفى هذه الأعاصير . . . فهل نحن راجعون ؟ وهل للشمس من «يوشع» يؤجل لها مواقيت الغروب ؟ إن كان للشعر «يوشعه» فليس نصيب هاردى من مغربه المديد أمنية أشتهيها ، وليس نصيب بيرون فى ضحاه القاتم نعمة أرتضيها ، وإن كانت الكلمة فى هذا للقضاء يفعل ما يشاء ، ويتبع أسلوبه فى الإطناب والاقتضاب حين يرتجل كل كتاب .

عباس محمود العقاد

فى العالم

يارب . . . ويا خلق !

* * *

يارب !

يـارب أعـطـينـاك أرواحـنـا   فى هذه الحرب وفى الماضيةْ
يا ربنا فـــاقْضِ لنا مـــرةً   بالسلم فى أيامنا البـاقـيـة

* * *

ياخلق !

يا خلق ما أرواحكم سمحةً   عندى ، ولا إن سمحت كافية
أعطيتمُ إبليس أضعـافهـا   من حَيَوات عندكم غـاليـة
وبعـتمُ فى سـوقـه كلّ مـا   وهبتكم من عيشة راضية
لم تشتـروا السلم بأرواحكم   بل اشتـريتم نقـمـة ثانيـة
عطاؤكم إبليسَ سـمحٌ بلا   أجـر ولا أمنيـة خـافـيـة
ومـــا بذلتم قط لى قُـــربةً   إلا رجـاء العفـو والعـافيـة !

* * *

عباد الطغيان

كلكم . كلكم مع الغالب الظا   لم لا تعدموا من الظلم رغما !
لو وقفتم يوماً إلى جانب المغلو   ب مـا فـاز غـالبٌ قطُّ ظلمـا

قريب قريب

عجبنا زمانا لهذى الحروبْ ... وما فى الحروب لَعَمْرى عجيب
أَتعجب من أَن قوما تمو ... ت ، ومن أَن قومًا قساة القلوب
وما قسوة الناس بدعٌ ولا ... أَرى موتهم بالجديد المريب
فهذى هى الحرب ياصاحبى ... كلا طرفيها قريب قريب

* * *

فصد !

قالوا : هى الحرب فصْدٌ ... به الشفاء يُؤَمَّل
قلنا : نعم . فصد عرق ... حىّ وإعفاءُ دُمَّل !

* * *

الخلود المزدرى

نفوسٌ أَعاف مقامى بها ... أَأَخلد فيها؟ لبئس الخلود !
وسجنٌ أَعاف وجودى به ... أَليس كفيلا ببغض الوجود ؟
فدع عنك يا صاحبى خالد ... يك ، وقل من مُرْكَ لهم أو شهيد
فلا خير فى عيشهم سرمدا ... إذا سُرمدوا فى ضمير القرود

فرب خلود كقيد السجين ، ونسيان قوم كفك القيود

* * *

سوء توزيع

دنيـاك فـيـهـا جـمـال ورحـــمـــة وســرور
تُلقَى ولا تبـتـغـيـهـا وتُبـتَـغى فـتـجـور [1]
هذا هو الشـر عندى ومنه تنمـو شـرور

* * *

بأس الطغاة

بأْس الطغـاة تقـول ؟! مـهـلاً . عـداك الذهول
هيهات يطغى ابن أُنثى فى أُمـةٍ أو يصـول
مـا لم يُعِنْهُ عليـهـا جـهل وحـقـد دخيل
همـا الأَصيـلان فاعلم وكل طاغ وكـيـل
ومـا لطاغٍ سـبـيـل لولاهـمـا أو دليـل

* * *

الداء العالمى

أرثى له عـالَمًـا شقـيًّـا يقـاد مـسـتـسلمًـا زريًّا
ومن هم القـائدون ؟ . . رهط
من شـرهم خـسـةً وغـيـا
هذا هو الـداء لا قـتـالٌ
يطوى صفـوف الجمـوع طيـا

---

(١) جارعن الطريق : حاد عنه .

فالجهل يزرى بكل حى ولا تعيب المنون حيا

* * *

قلت للمريخ [1]

قلت للمريخ أعذله وهو يذكى جمرةَ الغضب
ويك ! ما هذا الخراب ؟ وما ذلك الإغراق فى العطب ؟
أُمَمٌ تسطو على أمم ولظى ثوارة اللهب
ودماء كالبحار على عيْلم [2] للدمع منسكب
وقبور كظَّها تَخَما جثثُ الهلكى من السَّغب [3]

* * *

قال : مهْ يا صاح أين ترى كلٌّ ما استهولتَ واعجبى
أَرضكم ما زلت أبصرها نائيًا حينًا وعن كثب [4]
هَيِّن ما قد تبدّل من سمتها فى هذه الحقب

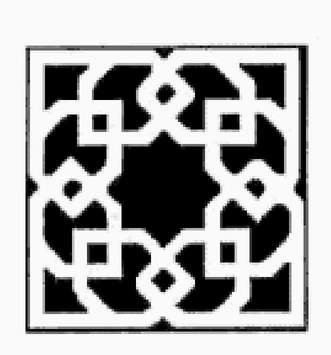
* * *

جزاء اللّه

جزى اللّه هتلر أوفى الجزاء بما قد أَجاد وما قد أَساء
فما زال يقذف من حوله مواعظَ يلقفها من يشاء
أَلم نر كيف يكون الحقير حقيرًا ويقضى بأَيدى القضاء
وينهى ويأمر فى قومه ويبرم فى أَمرهم ما يشاء

(١) المريخ فى أساطير الأقدمين هو رب الحرب. (٢) بحر.
(٣) الجوع (٤) عن قرب.

ويغــزو الممــالك فى عــالم تُفــدَّى ممالكه بالدمــاء
ويفــتح باريس فى وثبــة ويوصــد لندن دون الهــواء
فـوالله مـا الحـرب فى هولهـاً وفى كل مـا خيَّبت من رجاء
بضـائعـة عـبـثًـا لو درى بنو آدم كــيف يُزجَى الثناء
فـقـد يضـخم العـمل المزدرى فيضـخم ضعفين فى الازدراء



فى النفس

هذا هو الحب !

غريزةٌ تسأل : ما الحب ؟

بُنيتى ! هذا هو الحب !

* * *

الحب أَن أُبصــر مـــا لا يُرى   أو أغـمض العين فـلا أبصـرا

وأن أُســيغَ الحق مــا ســرَّنى   فـإنْ أبى ، فـالكَذِبُ المفـترى

* * *

الحب أن أســأَل : مــا بالهم   لم يعشـقـوا المنظر والمخـبرا ؟

ويســأل الخـــالون مــا باله   هام بهـــا بُهْــرًا ومــا فكرا ؟

* * *

الحب أَن أَفـــرق[1] من نملة   حينًا ، وقد أَصرع ليثَ الشَّرى

وأَن أَرانى تارةً مـــقـــبـــلا   وخطوتى تمشى بِىَ القـهـقرى

* * *

الحب كـالخـمـر فـإن قيل لى   سكرتَ ؟ هَمَّ القلبُ أَن يُنْكِرا

وكل عـضـــو بعــده قـائل   نعم ، ولا أحـــفل أن أسكرا

* * *

الحب أَن يَفْــرقَ أعـــمـــارنا   عـهدان ، والعـهد وثيق العُرَى

أحـسبنى الأكـبر حتى إذا   عـانَقْتِنى أَلفيتِنى الأَصْغَرا

---

(١) أخاف .

الحب أَن نصعد فوق الذرى   والحب أَن نهبط تحت الثرى
والحب أَن نؤثر لذاتنا   وأَن نرى آلامنا آثرا

* * *

الحب أَن أجمع فى لحظة   جهنم الحمراءَ والكوثرا[1]
وإننى أخطئ فى لهفتى   مَنْ منهما رَوَّى ومَنْ سعَّرا

* * *

الحب أَن يمضى عام وما   هممت أَن أنظم أو أشعرا
وربما علّقت فى ساعةٍ   حواشى الدفتر والأَسطرا

* * *

بُنيَّتى ! هذا هو الحبُّ
فَهِمْته ؟ كلا . ولاعَتْبُ !
مسأَلَةٌ أسهلها صعب
لا الناس تدريها ولا الكتب
حسبك منها ، لو شَفَتْ حسب ،
إشارة دق لها القلب

* * *

عمر زهرة

فريدةٌ فى روضها   أخيرة فى الموسم
عيشى وأَهدى غيرها   فى كل عيد ، واسلمى
أَلست أنتِ مثلها   علمت أَو لم تعلمى
هدية الخلاق لى   وقد رأَى تنسمى ؟[2]

---

(١) الكوثر : نهر فى الجنة .   (٢) تنسم ، تلطف فى طلب الخبر أو الرائحة .

زهرتك البيضاء هلاّ تذكرين نشرها؟ (1)
حفظتها فى خدرها هل برحت مقرها ؟
حفظتها . حفظتها فهل حفظتِ سرها ؟
قصصتُ منها عقدة لكى أطيل عمرها

* * *

من يحفظ الزهرة أُسبوعاً إلى تمامه
قد يحفظ الحب إلى السابع من أعوامه
فانتظريه فى غد يسأل عن غرامه
ولا يمسه إلا لكى يزيد فى أيامه

* * *

وتسألين ما لنا نقص منه يا ترى ؟
نعم فكل حىّ ناقصٌ ما عُمِّرا
كم ساعة نبترها تزيد فيه أشهرا
فلا يزال مشتهىً ولا يزال أخضرا

* * *

كوبيد يتسلل

نفض النعاسَ فؤادُه وصبا وصحا ، فمال ، فهام فاضطربا
ونفى السآمة بعد ما بلغت منه المُشاش (2) ، وعاود اللعبا
وجرى الذى ما كان يحسبه يومًا يكون ، وطالما حسبا
فى توبة الخمسين يشغله وجهٌ ، ويملأُ صدره رَغَبا
ويظل يسأله ، وإن وهبا . . . ويبيت يسمعه ، وإن كذبا

---

(1) رائحتها .

(2) رأس العظم .

ويعــــد منه الزور مـــأْثرة   أو لا يريد بزوره ســبــبــا ؟!

رجع الهوى . عجبًا له ، عجبا !   لا طاغــيًــا وافى ولا لجــبــا

لم أُولِهِ بابــاً ولا كــنـفــاً   عندى ، فكيف أطل واقــتــربا

ناديتُـــه حــينًا فــراوغنى   فــاليــوم نادانى ومــا طُلبــا

بينا أَقــول صــددته حــذرا   طلع النهـــار إذا به انســـربا

لُــذْ يــا بــنــىَّ بمــن يــلاذ بــه   ولك الحمى ، وما لم تهج غضبا

* * *

هذا الصــغــيــر على غــرارته   يدرى النفــاق ويحــسن الأَدبا

وتراه فى العشرين مستبقًا   وتراه فى الخمسين مصطحبا

ويغــيظ من كــيــد وعــربدة   فــإذا أُغــيظ شكا أو انتــحــبــا

متــمــرِّسًــا بالدهر مــختــبــرا   خــيم[1] القلوب مــحــاذراً دربا

ســأضــمــه رفــقًــا ، وأوســعــه   برًا ، وأَملك قلبــه حــدبا[2]

ويقــيم لا أخــشى كِنانتــه [3]   . . . السهم أَخطأ والحسام نبا

* * *

أكـــذاك أم هو خـــادعى أبدًا   حتى إذا أَمن الحمى انقلبا ؟

ســيـــان . مـــا أنا حــاذر لغــد   أغلبــتـــه بالكيــد أم غلبــا

حــذرى أشــد علىَّ من خــدع   تُشــقى وتُســعــد بالمنى نُوَبا

فى كل يقظة خـــائف هَرَمٌ   ومع الخــديعــة لذةٌ وَصِــبــا

* * *

---

(١) الخيم : الطبيعة .   (٢) عطفاً .

(٣) قدماء اليونان يصورون الحب طفلا يحمل كنانة يرمى بأسهمها من يلقاه .

مسرة واحدة

تم الكتاب وألقت باليراع[1] يدى ... وضُمِّن الطرسُ إحساسى وإدراكى
مالى به غير مسرور ولا كلف ... ألا يَسُرُّ يمينًا نبتُها الزاكى
ضيَّعتُ فيك مسراتى فما بقيت ... لى من مسرة شىء غير لقياك
لولا هواك لألهانى السرور به ... عن عالم ضاحك أو عالم باك

* * *

دنيا مقلوبة

صوت النذير[2] الذى أبقاك خائفة ... على ذراعىّ قولى كيف أخشاه ؟
أو البشير الذى يدعوك ثانيةً ... إلى الطريق لعمرى كيف أرضاه
الحب والحرب وا ويْلا قد اجتمعا ... فى القلب فانقلبت أحوال دنياه !

* * *

الحب

ما الحب روح واحدٌ ... فى جَسَدىْ معتنقين
الحب روحان معاً ... كلاهما فى الجسدين
ما انتهيا من فرقة ... أو رجعة طرفة عين

الطير المهاجر

علمتنى مواسم الروض أن الطير شتى : مهاجر ومقيم
أتراني لا أسمع الطير إلا ... فى رياضى معششًا لا يريم[3] ؟
رب شادٍ فى هجرة يتغنى ... وعليه السلام والتسليم

(١) القلم . (٢) النذير بالغارات . (٣) يفارق .

من جنوب إلى شمال ، وحينًا من شمـال إلى جنوب يحوم
فله حين يستـقل[1] وداع وله حين يقـبل التكريم
خذ من الطير كلَّ يوم جديدًا فسواء جديده والقديم
كم مُولٍّ وصفوهُ لا يُولَّى ومقيمٍ وصفوه لا يقيم

* * *

الصدار الذى نسجته

هنا مكان صدارك هنا هنا فى جوارك

* * *

هنا هنا عند قلبى يكاد يلمس حبى
وفيه منك دليل على المودة حسبى

* * *

أَلم أَنل منك فكرة فى كل شكة إبرة
وكل عقدة خيطٍ وكل جرة بكرة !

* * *

هنا مكان صدارك هنا هنا فى جوارك
والقلب فيه أَسير مطوّق بحصارك !

* * *

هذا الصدار رقيب على الفؤاد قريب
سليه : هل مرَّ منه إلىَّ طيف غريب ؟

(١) حين يبرح ويسافر .

نسجته بيدك على هدى ناظريك
إذا احتوانى فإنى ما زلت فى إصبعيك

* * *

قولى مع السلامة

نعم مع السلامة والحب والكرامة

* * *

حديثك الممتع لى
من ثغرك المقبَّل
وأنت لى فى منزلى
وشيكةٌ أن تخجلى

من قبلة حَرَّى إلى لغو إلى ابتسامة
ولا تقولى عندها لا .لا . مع السلامة

حتى إلى القيامة

* * *

أَما إذا مِسرَّتى [1]
نادتك يا حبيبتى
فاستمعى تحيتى
ثم «اسألى عن ليلتى»

(١) ترجمة حديثة لكلمة التليفون .

ثم اضحكى وسلسلى
ضحكتك النَّغامة

فإن أطلتِ بعدها فهذه علامة
قولى مع السلامة قولى مع السلامة

* * *

الغيرة

إذا رابك القلب الذى لاتنوشه مخالب من وسواسه أو نواجذ(١)
فلا تحسبى أنى خلىٌّ من الهوى ولا أننى سالٍ هواك فنابذ
ولكننى راض بما تظهرينه وما أنا فى السر المُغَيَّبِ نافذ
فلستُ إلى ما فات منك براجع ولا أنا مُعطٍ فوق ما أنا آخذ

* * *

هبة لا تنقل

تريدين قلبى؟ خذيه خذيه ! . . . رويدك . لا . بل دعيه دعيه !
دعيه إذا غبت عنى أرى محياك فيه ، وحبىَ فيه
وسرٌّ أبوح به خلسة وإن كنتِ من قبل لم تسمعيه
أخاف على البعد أن تلعبى به يا بنية أو تهمليه
فكم لعبة وقعت من يد يك وقوعًا أرى القلب لا يشتهيه
إذا ما لعبت به ها هنا فإنى لآمن أن تكسريه
تريدين قلبى ؟ خذيه خذيه ولكن بربك لا تنقليه

---

(١) ناشه : تناوله وأخذ به ، والنواجذ : أقصى الأضراس .

بعض الزراية

بعض الزراية نافع   في حبهن فلا تُغال[1]
لولا الزراية لم تطق   منهنَّ مشنوء[2] الخصال
ما حبهن من المهانة   نة في قرارته بخال

* * *

قبل السكر

لمع الشراب وراق منظره   فرشفت منه خلاصة الراح
حتى إذا غالبت سكرته   صفّقته[3] ، فرددت أقداحي
شكرًا . فما أقسى المغبة لو   أمسى يشاب ولست بالصاحي
قَدَحانِ أَسلمُ لي ، وإن فتنت   عينيَّ لمعةُ حسنه الضاحي

* * *

لغير البيع !

جواهر الحب قالوا غير زائفة   مهلا ! فما أنا فيه بائع شار
كلا ، ولا أنا من شك ولا ولع   بالسر عارضُ أحجاري على النار
خذ معدن الحب إن ألفيت معدنه   إني قنعت بومض منه غرار
ما للأناسيّ من حب يدوم ولا   حب يقوم على صدق وإيثار

* * *

---

(١) أي : لا تبالغ .   (٢) المشنوء : المستقبح .
(٣) صفق الشراب : حوله من إناء إلى إناء .

جزاء التحدى

بُنيَّة ما صنعت ؟ جزاك ربى ... بحب فى مشيبك مثل حبى
لقد غيرتنى حتى لو انى ... أرى قلبى إذن لجهلت قلبى
سلينى كيف كنت وكيف صرت ... وقولى ما صنعتِ وما صنعت
قدرت على الحوادث بعد لأى[1] ... وها أنا ذا كأنى مَا قدرت

* * *

أَخاف وكان لى قلب قرير ... فها أنا ذا إذا صَفَر النذير[2]
أَتوق إلى غد لتراك عينى ... وأرجم من يغار بمن يغير

* * *

وكانت لى سلالم أرتقيها ... فرادى لا أُبالى ما يليها
فعدت مُثَنِّيًا عَجِلاً كأَنى ... أَخو العشرين مرتقيًا سنيها

* * *

وكنت من السآمة لا أبالى ... أَذَمَّ الناسُ أَمْ حمدوا فِعالى
فها أنا ذا أسائل ما عساها ... ستسمع فىَّ من قيلَ وقال

* * *

وكنت هزئت حتى بالجمال ... وحتى بالفنون وبالمعالى
فما لى اليوم لا أرضى بحال ... وكنت الأمس أرضى كلَّ حال؟

* * *

---

(١) اللأى : البطء .

(٢) تذير الغارات .

أعود إلى الحياة فتلك عندى هموم المستعيد المستعد
تحديتُ الحياة فهل جزتنى بهذا الحب عن ذاك التحدى ؟

* * *

إعفاء

أُعفيك من حلية الوفاء إنك أحلى من الوفاء . !
خونى ! فما أسهل التقصّى عندى وما أسهل الجزاء
وليس بالسهل فى حسابى فَقْدُكِ يا زينة النساء

* * *

الحب الضاحك

فرغت من الحب الذى يُعقب الشكوى

فحبى من النعمى ، وليس من البلوى

بذلت له نارى ثلاثين حجة

فلا نار بعد اليوم . . . اليوم للحلوى ! (١)

ومخّضته ماء الشباب فما ارتوى

فهل فى خريف العمر يطمع أن يُروى

رضيت بما أعطَى وأحسبه ارتضى بما أنا معطيه على غير ما يهوى
فلا زال فى عقباه ضحكا بلا بكًا ووصلا بلا هجر ، وهجرًا إلى سلوى

* * *

(١) يستقيم الوزن بالوقوف التام على «اليوم» الأولى ، ثم الاستئناف على «اليوم» الثانية – وهو مالا يجيزه المتشدّدون من العروضيين ويؤثرون عليه إدخال فاء العطف على «اليوم» الثانية .

زهرة ديسمبر

خـــل أَيَّـــار [٢] ونـــوَّارا لـــــه	ربما أعـــجب قـــومًـــا ربما
خـــيـــر نَوَّارى الذى أُهديتُـــه	زَهَرٌ فى شـــهــر كـــانون[١] نما
عـــيـد مـيـلادك من بسـتـانه	يا ربيعًا فى الشـتـاء ابتـسـما
هات ياكـــانون زهرًا كلمـــا	ســقط الزهر تعــالى وســمـا

* * *

من تقليد «نشيد الأناشيد»

أجلْ تلك خـــبـــاياها	وهـاتـيـك خـطـايـاهـا
فـــهل تدرين مـــاذا	ك الذى يدعى مزاياها ؟!

* * *

لما فـيـهـا من العـيـب	سننســـــاه وننســـاها
وللحـسن الذى فـيـهـا	سنُحـيى الآن ذكـراها

* * *

سأحصى لك ما يعجب	منهـا ، وهو كـالشـمس
كما أحصيت ما يغضب	بعـــد الســعى والدس

* * *

ثـنـايـاهـا . ثـنـايـاهـا	وهل ذقتِ ثنيـــاها ؟
وعـــيناها ، ويا للقلب !	كم تـسـبـيـه عـيناها ؟!

* * *

---

(٢) أيار وكانون : شهران يقابلان أوائل الربيع وأوائل الشتاء .

وتلك الوجنة الخمـــر   ية السكران رائيـــهـــا
أَفى الجنة يارضـــوا   ن تفاح يحاكيـهـا ؟!

* * *

وتلك القامة الهيفا   ء زانتـــهـــا زواياها
إذا مـــا جـــار ردفـــاها   أقـــام الجور نهـــداها

* * *

وتلك النســمــة الحلو   ة فـى ثـوب الأَنـاسـىّ
هى الروح الفـــراشـ   ـية فى النور السماوى !
دعيها تفسد الخمسـ   ـين إفساد ابن عشرينا
وحاشا . بل هى الإكسـ   ـير باسم الحب يحيينا

* * *

وعندى من حُميّا[1] الشـ   ـعر إكسيرى وترياقى
وهل كالشعر فى الدنـ   ـيـــا ربيع دائم باق !

* * *

مزيج

ما الحب من محض الصدا   قـة يابنى ، ولا العــداء
الحب فـيـه الخـصلتـا   ن ، وفيه مزجهما سواء
أَحلى الصداقة والعدا   وة يمزجـان لمن يشـــاء
فـيـه العطاء والاغـتـصا   ب ،وقل على الدنيا العفاء!

---

(١) الحميا : سَوْرَة الخمر .

مسابقة

أغنيتها عن خدعتى زمنا   وخلعت نفسى فى محبتها
فبلغت أَقصى الظن ممتحنا   صبرى ، ولم أَلحق بخطوتها

* * *

لاتخلفى !

لا تخلفى وعدى فأكبر لذتى   فى الحب إعزازى لصاحب عهده
ويغضّ من إعـــزازه ودلالـه   أَنى إذا وعَــدَ ازدريت بوعــده

* * *

أخلفى

إن كـان خلفك للوعـود تدللا   بمكانك الغـالى لدىّ فـأخلفى
مـا كنت أُتبعـه القطيـعة آنة   هو منك واعجبى يطيل تشوفى

* * *

بنت البحر

أَبُنَيَّةَ البحر التى ضربت لنا   بسكندرية مــوعــدًا لتــلاق
إنى مددت يدى لتلمس شاطئى   قـدمـاك لا لِتُـعَـجِّلى إغـراقى

* * *

اكذبينى

اكـــذبينى مــرة أو   فـــاكـــذبينى مــرتين

ألف ألف من أعـــاجـــيـــبك فى غش ومين [1]
لن تبـيـد الفـارق الخـا لـد يا قـــرة عـــينى
والســـمـــاوات التى بينك فى اللب وبينى

* * *

اكـــذبينى واكـــذبينى كلمـا شـئت اكـذبينى
مـــا غناء اللب عندى إن أبى أن تخـدعـينى
أنـا فـى ثروة وفـــر منه مـهـمـا تسلبـينى
أنقـصـيـهـا . أى ضـيـر ؟ درهـمًـــا أو درهمين !!

* * *

تقويم العام

تقـــويم هذا العـــام من لحظاته الأولى لديك
قـومى ارفـعـيـه وارفـعى عنه الغطاء براحـتـيك
من يوم مطلعـــه إلى رجـعـاه مـوقـوف عليك

* * *

وإذا انتـــهت أيامـــه ولكل عـام منتـهـــاه
فـعليك أنت وداعـه . . وترحَـــبين بما تلاه
ويـحـي إذا دار المـدى ورعيت وحدى ملتقاه !

* * *

(١) المين : الكذب .

هى قُبلة ضَمَّتْ عُرَى عامين فاتصلا اتصالا
ومُنَى الخواطر فى غد عام كسابقه مآلا
لا تَعْجِلَنَّ به فما أقسى الحياة على العجالى

* * *

لا . لا . فهذا يومنا وغدٌ ، وبعد غد ، خفاء
أنا مغمض عينى ومسـ ـتمع إلى حادى الرجاء
فإذا سمعتِ حُداءه فدعيه يمضى حيث شاء

* * *

وعام ثان

بشراى . ما أَنا شاهد يا عام وحدى ملتقاك
دارت بُروجُك والهوى يخطو وتتبعه خطاك
وحمدت وجهك مقبلا ومضى ، فلم أذم قفاك

* * *

هذى فتاتى هذه ! هى لاخلاف ولااشتباه
هى فى بديع قوامها هى فى الصبا ، هى فى حلاه
هى فى غوايتها وآ ه من غوايتها وآه

* * *

ضُمى تُغيْرك يا بنية وابعثى منه الأمل
لا بالعهود إلى مدى عام ، ولكن بالقُبل
إن ساعفتنى ليلة فدعى العهود إلى أجل

* * *

عــام تفــتّح بالرجــا   ء وبالرجـاء خـتـمـتـه
ودّعتً ذاك العــــام فى   قــربى كـمـا اسـتـقـبلتـه
قـولى ، وقـد ولّى ، أَفى   شـرع الوفـاء قـضيـتـه ؟

* * *

لا تخــدعــينى يا بنيـــة بالوفـــاء من اللســانْ
خُنَّا وخُنْتِ ولا أَقـــو   ل سلى فـلانة أو فـلان
ذهبت خـيـانتنا مـعًـا   والآن نحن البـاقـيـان

* * *

ذهبت خـيـانتنا كـمـا   ذهب الوفـاء ومن يَفُـون
لا ذمَّـــةٌ تبـــقى ولا   يبـقى الوفىّ ولا الخؤُون
كم ذمـة ضـيـعـتـهـا   يا عام فى تلك الغضون !

* * *

انظر أَلست ترى فــتــا   تى حيث كنتُ ضممتها
فى جلسـة الأمس التى   حتى الصباح جلستها
فكأنهــا مــافــارقت   صـدرى ولا فـارقـتـهـا

* * *

وإذا ســـــــأَلتَ وربما   جاء السؤَال بلا كـلام :
«مــاذا تقــول مــودعى   والليل يومئ بالســلام»
حيرتنى ياعام فاستمـ   ـع الجـواب ولا مــلام

* * *

مـا كنت عندى أيّهـذا العـام كُلكَ بالسـعيـد
لكن سـويعـات مـضت لى فيك تُنسى ألفَ عيد
غـفـرت ذنوبك كلهـا وطغت على العام الجديد

* * *

حسبى من الدنيا الذى أعطت ودنيـانا غـرور
حـسـبى قليل عطائهـا وقليلهـا أبدًا كـثـيـر
إن عـاد يوم غـد كـأمـس فَدُرْ زمانُ كما تدور

* * *

وعام ثالث !

. . . والثالث الموصول أقـ بل مـرحـبًـا بالثـالـث
رَحَّـبْتُ منه بمقـبل إقـبـال لاه عـابث
ما كـان يكرثنا [1] شقـا قًـا لم يعـدْ بالكارث

* * *

رضنا الغـرام رياضـة الـ فَـرَسِ العـصىّ فـأذعنا
لا جـامـحًـا قلقًـا ولا تَعِـبًـا يئن من الونى [2]
أنعم بذلك مـركـبًـا بين العــواثر لينا

* * *

(١) يهمنا ويشغل بالنا .

(٢) الفتور .

مـا للغـرام يسـومنا   بنعـيمـه وشـقـائه
إنا لمغـتـنمـو جـهنـ   ـمـه اغـتنام سـمـائه
لسنا على يده يجـو   د لنا بمحض سـخـائه

* * *

مـا شبٌ من نار طبخـ   ـنا فوقها حلوى الهوى
أو صب من غيث غمسـ   ـنا فيـه آلام الجـوى
أو زفٌ مـن ريح وهـبنـا   ها الشراع كما استوى

* * *

أهلاً بعـام ثالث   يتلوه عـام رابع
بل خامس فيما عهد   ت وسـادس أو سـابع
مـا ضـاقت الدنيـا وفى   جنبـيك قلب واسع

* * *

قلبٌ تفـتح بعـد مـا   استعصى بباب واحد
أو قُلْ تشـقق بالجـر   اح فلـم يضق بـالـوارد
مـا حـيلة الأعـوام فى   غِـيـر الزمـان الفـاسـد

* * *

يا قلب إنك قـد أَرد   ت فأين ويحك ما تريد؟
عـام سـعـيد ! إى ور   بك . . . قل إذن عام سعيد
هبك اعـتـزلت سـروره   أَتـراه ينقص أو يزيد ؟

* * *

بعد سنة

سنة مــــــرت ولا كل السنين

بين صــيف من هوانا وشـتــاء
وربيع كلمـــا غـــام أضـــاء

والضـحى والليل حـينًا بعـد حين

* * *

سنة كـــان لهـــا نجم فـــريد

غــمـر الشـمس وغطى القـمــرا
ومــشى فى حـسنه منتــصــرا

كلّ برج تحــتــه برج ســعــيـد

* * *

إن يكن لى فى سناه رقــبـــاء

فـــالذى أرصـــده لم يرصـــدوه
والذى أنـشــده لم ينشـــدوه

والذى هامــــوا به عندى هبـــاء

* * *

سنة مــــرت على روض الغــــرام
أنبـــتت فــيــه فنون الشـجــر
من رياحينَ وغــرس مـــثـــمــر

وسل الأرواح مـــا أَزكى الطعــــام !

* * *

يومها الأَول وافى ودنا

فانس أيامك فى ساعاته
واجمع الصافى من لذاته

جرعة ، واطرب عليها زمنا

* * *

جرعة نجمع فيها سكر عام

إن شربناها فقد تشربنا
أو سكبناها فقد تسكبنا

فى الهوى روحين فى كأس وِئام

* * *

هات لى الذكرى وقرِّب لى العيان

فهما يا صاحبى بين يدىّ
حضرا الساعة يا صاح لدىّ

ربة الذكرى وذكراها قِران

* * *

هات لى الذكرى أراها وترانى

غضة ملموسة فى راحتىّ
حلوة معسولة فى شفتىّ

جنة تنبت فى كل أوان

* * *

جنتى لا حَـيَّةٌ تخـرجنى

أبدًا منهــا ولا أَحــيــاؤُها

لا ولا إبليس أو حــــواؤها

أنا فــيــهــا خــالد كــالزمن

* * *

أنا منهــا وهى منى فى الضـمـيـر

فــإذا فــارقــتــهــا بالنظر

لم يفـارقـهـا ضـمـيرى عُـمُـرى

وله العـصـمـة من مس السـعـيـر

* * *

سنة كـــان لهـــا نجم فـــريد

هات منهـــا أيهـــا النجم وهات

ســنــة ثــانيـــــة بــل سنوات

ولنا منك مـــزيد المســتــزيد

* * *

أَنت يا نجم مــعــيــد مــا تشــاء

لا الســمــاوات ولا داراتهـــا

غُنْيَـــةٌ عنك ولا أوقـــاتهـــا

أَنت مــيــقــات وشــمس وســمــاء

* * *

أنت تدنيـهـا سـمـاء زلفـا [1]

تنسج الوقت لنا منفـــردين

لا مـشـاعًـا كنسـيج النيـرين

بل لنا طوع يدينا وكـــفى

* * *

المرأة والخداع

خلِّ الملام فليس يَثْنيـهـا ، ... حب الخداع طبيعة فيها

هو سترها ، وطلاء زينتها ، ورياضة للنفس تحييـهـا

وسلاحها فيما تكيد به من يصطفيها أو يعاديها

وهو انتقام الضعف ينقذها من طول ذل بات يشقيها

أنت الملوم إذا أردت لها ما لم يُرده قضاء باريها

خنها ! ولا تخلص لها أبدًا تخلص إلى أغلى غواليها

* * *

رواية

ما غرنى إقناعها كلا ولا إمتاعها

ماذا تخبئ طفلةٌ رقت ورق قناعها

بل غرنى علم الطبا ع ، وللنفوس طباعها

---

(١) الزلف : التقدم والتقرب .

أَو ليس علمًا بالحيا ة يهون فيه صراعها
إنى أُشاهد كيف يفـ ـطم فى القلوب رضاعها
أَو كيف يسرى فى النفو س الواعيات خداعها
أَو كيف ينهض بعد طو ل سباته دفّاعها [1]
أو كيف يومض بعدما خَفَتَ السراجُ شعاعها
دعنى فتلك رواية شاقت وشاق سماعها
أَملى الوجيز رقاعها إن قيل أَين رقاعها ؟
وأنا العليم ، وقد علمـ ـت ، متى يكون وداعها

* * *

لغيرك !

لغيرك غفران تلك الخطايا وغض الجفون وستر الخفايا
لغيرك ، لا لك ، صبرى على مساوئ يُحسبنَ عندى مزايا
لمن أَرْسَلَتْك ، ومن جملتـ ـك ، ومن حبُّها كامنٌ فى حشايا
أَلست رسولَ الحياة الأمـ ـين بأسنَى الهبات وأغلى الهدايا
فهاتى الرسالة واستغنمى ثنائى ، ولا تعجبى من هوايا
إذا الرسل أَفضت بما عندها فما حيلتى فى اختلاف الوصايا
سواء لدينا بريد الوجو ه ، إذا حسنت ، أو بريد الطوايا

* * *

(١) الدّفاع : قوة الموج وكل مدفوع .

ماذا استفدتُ ؟

برئت من غش نفسى ولا أقول انتبهتُ
قد كنت ساهر عين مستيقظًا ما غفوتُ

* * *

برئت من غش نفسى وليتنى ما برئت
ما العمر محض نهار ! فى العمر للغمض وقت

* * *

ها أنت يا عين يقظى وها أنا قد نظرت
ماذا استفدت لعمرى وما عسانى استفدت ؟!

* * *

تربصى

إذا احتواك قفصى
سرى الفتور فى جنا حيك وإن لم تنقصى
وغرَّد الطير وضا عت فى الغناء فرصى
وخفت فى سجنك ألا ترقصى

* * *

وإن ملكتِ الأفقا

حيّرنى رحب الفضا ء مهبطًا ومُرتَقى
وأَوشك الصدر لفر ط الضيق ألا يخفقا

وطار فى إثرك لبى قلقا

* * *

تربصى . تربصى !

ما حيلتى؟ مامَهْرَ بى ؟ ما مخلصى ؟
الموت قناص الأَبا بيل وحلال العصى

يقنصنى ويحك إن لم تنقصى

* * *

فهمان

لما نفست بما أغا لى فى هواك وأُطنب
لم تفهمى منى سوى أَن النفائس تُطلَب
وفهمت من نزغات طبـ ـعك ، والطبائع تغلب
أَن النفائس كلما عزت ، تراد ، فتوهب !

فرخصت من فرط الغلو وخبتُ فيما أحسب
وخسرت فيك خسارتين ، وخلت أَنى أَكسب

* * *

كيف ؟

تحفة من بدائع الله تحمى كنزها كفُّ طفلة لا تقر
كيف لى بادخاره فى يديها ؟ كيف لى باحتقاره وهو ذخر

* * *

مصيبتان

قالوا اسلُها ودع البكاء فإنها فى حبها ليست بذات وفاء
ومصيبتى فيها اثنتان لأننى أبكى لمن لا يستحق بكائى
من كان يبكى الأوفياء ففى الأسى لمن استحق أساه بعضُ عزاء

* * *

ندم !

عشقتك مُكْذبًا خلقى ورأيى وعفتك صادقًا لهما أَمينا
وما أَخطأت فى لَوْميكِ يومًا وقد أخطأت فى عُذْريكِ حينا

حلم الأبد

أأهواك جسماً علا وانفرد وفتنة حسنك هذا الجسد
وما فيه من نزوة لا تحد ؟
بُنيةُ كونى كما قد خلقتِ فأَنت كما شاءك الله أَنت
وما شئته أنا حلم الأبد

عيوبك

عيوبك لم أَحفل بها قبل فتنتى　　وهيهات يثْنى العيبُ نظرةَ مفتون
فيا بؤس للعشاق لاعلمهم حمى　　ولا جـهلهم إذ يجـهلون بمأمـون

* * *

مساومة

ما حيلتى إن جَهلَتْ حسنها　　فسلَّمت بالبخس للمشترى
لو كنت فى جهلها بعتها　　ببعض ما هان على المزدرى
إنى على إغلائها فى الهوى　　أَرْبَحُ فى الصفقة من منكرى [1]
ليس الذى يَقْدر ما ناله　　كمن إذا أُعطِىَ لم يَقْدُرِ [2]

* * *

اللذات والويلات

غـداً تنسين لذاتٍ　　بلا عَـدٍّ ولذات
ولا تنسين ويلاتى　　ولا زجرى وإعناتى
فما فى تيك من حبك بعض الحب فى هاتى
وهيهات الهوى الطاغى　　من العابث هيهاتِ

* * *

(١) أربح : أى أكثر ربحاً .

(٢) قَدرَ الشىء يَقْدرُه ، أى عرف له قيمته .

عجائب القلب

تلك التي كنت أغليها وأَذكرها   صبحاً ومُمْسياً وفى سر وإعلان
قد كنت أرحم نفسى من تذكُّرها   فاليوم أرحمها من فرط نسيانى
عجائب القلب ، ويلى من عجائبه!   عزت نظائرها فى العالم الفانى

عدنا والتقينا

التقينا
والتقينا !
عجبًا كيف صحونا ذات يوم فالتقينا
بعد ما فرّق قطران وجيشان يدينا
فتصافحنا بجسمينا وعدنا فالتقينا (1)

* * *

بعد عصر !
أَى عصر ؟
والنوى تجرى وسر الحب فى الأكوان يجرى
ثم نادانا تعالوا فاهبطوها أَرض مصر
قضى الأمر كما شاء ، وعدنا فالتقينا

* * *

(1) كان صاحب الديوان قد سافر إى السودان على أثر هجوم الألمان والطليان على حدود مصر الغربية فى شهر يونية سنة ١٩٤٢ ثم عاد بعد أسابيع لعلاج يديه من حرارة أصابتهما ، فاتفق وصوله قبل يوم الذكرى المشار إليه فى القصيدة .

كم بكيتِ
واشتكيتِ
ثم أُلهمتَ على الغيب فأَصغينا وقلتَ
قلتِ فى السابع والعاشر من شهر سيأتى
ها هنا سوف ترانى ، فرأينا والتقينا

* * *

يوم ذكرى
ذاك أَحرى
بالتقـاء كلمـا دار به الحـول وأسـرى
فى سماء تَعبر الشعرى وتدنى كل شعرى
كيف يلقانا وحيدين غدٌ فيه التقينا

* * *

قبل عام
ثم عام
كـان يوم ، أىّ يوم ، فى صـفـاء وابتـسـام
يوم لاقى الحب لحظينا على عـهـد الدوام
فـتـعـاهدنا وقلنا : كلمـا عـاد التـقـينا

* * *

وتدانى
وكلانا
زائغ الطرف يناجى الأفق قلبًا ولسـانًا
ثم ماذا ؟ ثم كن يا بُعْد لى قربا ، فكانا
واستعان الحب بالداء حليفًا فالتقينا

كم غرام
وسـقام
عـرفـا الحلف على غـيـر سـلام ووئام
فإذا ما اجتمعا فانتزعانى من مقامى
فبحسبى منهما أنا شكونا فالتقينا

* * *

يا فتاتى
يا حياتى
لا تراعى بعد هذا من فراق أو فوات
قَدَرُ اللّه كفيل لك فى ماض وآت
كلما فرّق شملينا دعانا فالتقينا

* * *

نذر مقبول

أَرأيـت حـين نـذرتِ — ودعا «النوى» فدعوت ؟
من ذا الذى لبـاك ؟ — من ذا أَجـاب مناك ؟

قـديسـة عطفت على المكنون من نجـواك
ووعـدتهـا فـوفـيت

* * *

قـديسـة سـمعت لنا — وسعت لتجمع بيننا
مـن ذا يـلـوم هـواك — من ذا إذن يلحـاك
والعـذر عـذر صبابتى — والحق حق صبـاك

كـذبوا إذن وصـدقت

بالشـمع كم أَغـريتـهـا   أتراك أنت خـدعـتـهـا ؟
كـــلا ومـــا أَقـــواك   فى خـدعـة وشـبـاك
فــالنور لب غـــذائهـــا   والنور صــفـــو رضـــاك

شـغـفتْ به وشـغـفت

* * *

من الأستاذ عماد [1]

يا حـزين النفس أُعطيت مناها   فاغنم الفرصة حتى منتهاها
لا تنغصـهـا اختـبارًا واكتناها   إن من خـــاف من الجن يراها

* * *

النوى آتيـــة لا شك يومًـــا   وهى من حولكما لم تأل حوما
هَمُّـهـا ألا يدوم الصـفـو دومًـا   فـعلى رِسْلِكَ لا تُعْجِلْ خطاها

* * *

لا تقلِ يا وردتى شـــوكك أَينا   ما علينا منه فيها ، ما علينا ؟
إنهـا أَخـفـتـه عنا فـانتـهـينا   حـسـبنا الوردة رفّت فى نداها

* * *

ليس شكٌّ أَن للوردة شـــوكـــا   وإذا أَدنيت كـــفّـــاً منه شكّا
فأَحبُكِ القفاز فى كفيك حبكا   واخلس الوردة واستغرق شذاها

* * *

(١) هو صديقنا الشاعر الجيد : الأستاذ محمود عماد .

أنت فى الجنة أُلقـيت يقـينا فدع الشك أو استمهله حينا
إنه الشيطان قد أَخفى القرونا إنه الحـيـة فـاحـذر مِنْ أذاها

* * *

لا تسلها يوم تأتى أين كنتِ ؟ فبحسب العين أنَ الحسن يأتى
ذاك وقت فـيـه يفنى كل وقت ساعة دقت ، وغابت عقرباها

* * *

ساعة دقت فأَدت ما عليها فعرفت الوقت لم تنظر إليها
ما الذى تطلبه من عقربيها إن تغيبا خلف ستر قد حماها؟

* * *

قُلْتَ أنساها بأخرى حين تُغْرَى أَترى أخراك لا تطلب أخرى ؟
من يقول الجمر قد يطفئ جمرا اللظى من غيرها مثل لظاها !

* * *

إنها منك دنت فلتدن منها وإذا خانتك من بعد فخنها
أَو فجرِّب هل تطيق الصبر عنها ؟
لا . وشمسِ الحسن فيها ، وضحاها ![1]

* * *

غضْتَ فى اللجة حتى أذنيكا وحزام العوم لم يلق إليكا
رحمة الحسن إذن تَتْرى عليكا رحمة إن شاءها الحسن قضاها

---

(١) الواو هنا للقسم لا للعطف .

وإذا شـاء فـلا رحـمـة تقـضى ودعا بعضك نحو القاع بعضا
تبـتـغى من تحت هذى الأرض أَرضًا

لا . فـدنيـا الحب لا دنيـا سـواها

محمود عماد

* * *

إلى الأستاذ عماد

يا صـديق النفس من عـهـد صبـاها
نصحك الصادق لو تُشْفَى ، شَفاها [1]

مـحنةٌ تبلغ فى يوم مـداها ما ترانى صانعًا ، أو ما تراها ؟

* * *

ناصحى أَنت بزهرى أَنتشيـه لا أُبالى الشوك والغصة فيـه
كل شـوك يا صـديقى أَتقيـه يخـرق الدرع وإن دقت عـراها

* * *

وردتى يا صاحبى فى الورد بدع! بدعـهـا طبع ، وكل الورد طبع
طبعـهـا كـالفخ ينهاك ويدعـو وبلاء النـفس فى مسٍّ جناها

* * *

إن تقل فـز بالجنى قلت رويدا الجنى الكيد ، فهل نأمن كيدا؟
الجنى القيد ، فهل نحمد قيدا الجنى ، يا ويحها ، أشهى أذاها!

* * *

(١) أى أن نصحك قمين أن يشفى النفس لو أنها تقبل الشفاء .

وردتى آفتـهـا فـرط التـحـدى   جاوزت فى كل شىء كلَّ حد
حسنها هيـهات منه حسن ورد   شوكـها أَنفذ من شوك سـواها

* * *

أَترانى نافـــعى والقلب دامٍ   وسعار الجرحِ يمشى فى عظامى
لــذة الـعـين بـوشـى ونـظـامَ   وامتلاء الأنف من عطر شذاها

* * *

آه من برئى وآهٍ من ســقــامى   آه من صلحى ، وآه من خصامى
آه من شمسى ، وآه من ظلامى   آه من لذعـــة آه فى جـــواها

* * *

لذعــة النيـران ينفـثن دخـانًا   ليـضىء اللهب الخـافى عيـانا
لهـبًا صـرفًـا تعـالى وتدانى   من قــرار النفس يرتاد ذراها

* * *

آه من آه لحـــاها اللّه جـــدًا   لا تزل خـــالدة فى النار خلدا
من قلوبٍ تتلظى حبًا وحقـدًا   حـــرقت آهاتهـــا آهًا فـــآها

* * *

أنا لا أطلقـــهـــا حـــتى تذوبا   فى لظاها ، كلما شبت شبوبا
وأرانى يا صـــديقى لن أَتوبا   فـإذا تابت عــرفنا منتـهــاها

* * *

طلاء نفس

زرقة عينيك لا صفاءً   فيها ، ولكنه فضاء !
حمرة خديك لا حياء ،   فيها ، ولكنه اشتهاء !
قوامك الرمح لا اعتدال   فيه ، ولكنه اعتداء !
يا حيرة القلب فى هواه !   يا غاية العمر فى مناه
وجهك سبحان من جلاه   ولوّث النفس بالطلاء !

* * *

حـبك لا نعـمـة أَراها   فـيـه ، ولكنه جـزاء
من فى الصـبا جـرتُ فى هواها !
من تلك مـقـبـولة الدعـاء ؟
أَنت عـقـابى فـهل كـفـاها   برح شقائى أَولا اكتفاء ؟!
يا جنة حـسنهـا عـقـاب   يا خـمـرة عـذبهـا عـذاب
مـتى مـتى ينطوى الكتـاب ؟
مـتى فـراقٌ بلا لقـاء !

* * *

بنيته

بنيتـه ، والعزم صخرى المتين   ومعولى حدُّ العذاب السَّنين
اسمعْ . أَلا تسمع هذا الرنين   هذا فتات القلب . هذا أَنين
فى كل ركن قطعة من وتين [1]

---

(١) عرق فى القلب .

بنيتـه فى حـفـرة من شـقـاء والـدمُ والدمع عليـــه طلاء
هناك ، فى زاويةٍ ، فى الخـفـاء تم بحـــمـــد الله ، تم البناء !

مـــاذا بقى ؟لم يبق إلا الدفين !

* * *

بنيتـه . يا حسنه ! يا سناه ! بنيتـه : قـبر الهوى فى صباه
قبر الـهوى الغالى وواحسرتاه ! قـبر الهوى الذاهب فى منتهاه

هل بعد «خمسين» هوى يا حزين؟

* * *

هاتوا الدفين الغض . هاتوا الأمل هاتوه أُدْمى جـسـمـه بالقـبل
أدميه ؟ لا . لا دم بعـد الأجل جفٌ ومـا جـفـت عليـه المقل

هاتوه أحييـه بذكـرى السنين

* * *

دفنتـه ، وَيحَكَ ! هل تستـريح ؟ يا خارب القلب عمرت الضريح!
ذاك الثرى المنهال . ذاك الصفيح يا ليتـه ركن الخراب الفسيح.

أو ليـتك الساعة فيـه الدفين

* * *

آه من الحـــيـــــرة آهٍ وآه أنافعٌ قَلْبىَ ، رُجْـــعَى هواه ؟
ولو خلا القبر ، أَهذا مناه ؟ . . . لو أقــفـر الســاعــة مما حــواه

خلت من الحيـرة أنى الغـبين

* * *

هنت والله

هوَّنت خَطْبَك جـدا   وخِلتُه لن يهونا
حمدًا لكيدِك حمدا   ... حمدًا يُفيضُ العيونا
بدّلتِ بالنارِ بردا   وبالهيامِ سكونا

إنى أَمنتُ الفتونا
وأنت ماذا أمنت ؟
قد هنتِ والله هنتَ !

* * *

كم دارَ فى الكونِ رأسى   حيرانَ يطوى بقاعَه
شكى يسائلُ حَدْسى   أَين اختفت منذ ساعة ؟
سفينتى اليوم تُرْسى   والركبُ يطوى شراعه

غيبى بغير شفاعة
ما أنت ويحك أنت [1]
قد هنت والله هنت

* * *

لو قيلَ «بنتُ الهواء»   صدّقتُهُم فى المقالِ
ورثته فى السخاء   وفى شيوعِ النوالِ
لو كانَ فيكِ بقائى   لم تخطرى لى ببالِ

من بالهواء يبالى
كونى إذن حيثُ كنتِ
قد هنت والله هنتَ

---

(١) « ما » هنا للنفى .

خـذى عـشـيـقين مـثلى   لا بل خـــذى الناسَ طُرا
يـلـقـــاك هذا بـلـيـلٍ   وذاك يـلـقــاك ظُـهــرا
إن تـخــدعـى رَبَّ نـبـلٍ   يـخــدعْك نـذلانُ مَـكـرا

وتـشــربـى الجـامَ مُــرا
حــتى يُقــالَ جُننْت
قـــد هنت واللّه هنتَ

* * *

يا فــرحـــةَ القـلبِ لما   رَخُـــصْت بـعـــد غــلاء
خــســرى بذلكَ تما   وتمَّ مـنـكِ نجـــائـى
ولو حـــســبــتكِ غُنْمــا   لطالِ فــيـك شَــقـــائى

وغُــصَّ قــلـبـى بـدائــى
لـكن رحــمت فــخنت
وهـنــت والـلّـه هـنــتَ

* * *

فراغ . فراغ

فـــراغ بارد شـــات   بلا مـــاض ولا آت[1]
أأمـــوات ؟ نعم لكن   نحس فناء أمـــوات
ويا بؤس الفناء نحـــســه فى كل مـيــقـــات

* * *

(١) شات : اسم فاعل من شتا يشتو ، أى دخل فى الشتاء .

فى مصر

غيث الصحراء

ألقيت هذه القصيدة بين يدى صاحب الجلالة الملك «فاروق الأول» فى رحلته إلى الصحراء الغربية (١٩٣٨) وكان صاحب الديوان يمثل دائرة الصحراء بمجلس النواب .

* * *

يا حادى البشرى دنا السفر ... ناد القبائل حيثما انتشروا

فاروق فى البيداء يصحبها . . . ... تيهوا بنى البيداء وافتخروا

رَفَع الخيام على السحاب فلا ... أُسُسٌ تطاولها ولا جدر

* * *

فى طالع الأيام مرتقب ... ولسابغ الإنعام مدَّخر

كالغيث لولا سبق أنعمه ... والغيث يلحق بعده الثمر

كالنيل لولا أن موسمه ... فى كل يوم حاضر نضر

صَلَحَ الزمان لكم بمقدمه ... وازدانت الآصال [1] والبكر

فاستبشروا بالخصب أجمعه ... لا جدب حيث النيل والمطر

* * *

أَحببتموه على السماع كما ... شاء الولاء ، وشاعت السير

وتشوَّف الوادى لرؤيته ... وتساءل الركبان ، وانتظروا

وتجاوبت فيكم مدائحه ... نظمًا رواه البدو والحضر

والعرب أصدق ما سمعت إذا ... غنوا على البيداء أو شعروا

فالآن فاكتحلوا بطلعته ... وتيمنوا باليمن وابتدروا

---

(١) جمع أصيل ، وهو قبيل وقت الغروب .

ملكٌ تعـــالى اللّه بارئه … سيان فيه السمع والبصر
لم يختلف قول ولا عمل … منه ، ولا خُبْرٌ ولا خَبَر

* * *

ملك تعـــالى اللّه بارئه … بالخير يأمرنا ويأتمر
مستعصمٌ باللّه معتزم … مستمسك بالحق مقتدر
سبق الشبابُ به مراحلنا … وأَعانه الإلهام والنظر
وتفـيَّـأَت بلوائه عُصب … وتألَّفت بفنائه زمر[1]
نعم الإمامةَ للشبَاب فلا … يأس ولا نكس ولا حذر
جيلٌ لزين الجيل أسلمه … رب الكنانة ، فهو منتصر
العزم والشورى إذا اجتمعا … فهما قضاء اللّه والقدر

* * *

يا مؤمنًا باللّه مهتديًا … بك مسجد «العوَّام» مشتهر
يا نسج وحدك فى مآثره … بيديكَ زينَ القطن والوبر[2]
يا جاعل الملح الأجاج رَوىً[3] … بيديك طَاب الملح والصَّبرُ
يا شافىَ المرضى وكافلَهم … عيسى على كفيك مستتر
يا حصن مِصْرَ ويا دعامتها … أقوى الدفاع مِراسُكَ العسر
يا شاهدَ التاريخ فى أَثر … العينُ أنت ، ومَا مضى أَثر
ما كان منسيّاً فشهرته … بك بعد هذا اليوم ينتشر

---

(١) أى استظلت برايته جماعات .
(٢) أى أنك زنت القطن والوبر ، كناية عن الوادى والصحراء .
(٣) الروى هو الماء الغزير المروى . ومن المنشآت التى افتتحها صاحب الجلالة فى مرسى مطروح منشأة تصفى ماء البحر من الملح فيصلح للشرب ، والبيت يشير إلى هذه المنشأة ، كما تشير الأبيات الأخرى إلى المعاقل والمساجد ومعامل النسيج التى افتتحها جلالته فى هذه الرحلة ، والآثار التى زارها .

إنى إلى الصحـراء ملتـفت   وعلى فم الصحـراء منتظر
أصغى فأَسمع فى جوانبها   هزجًا يشيع بها ، وينحصر
آلاء فـاروقٍ يـرددها   نفـر ، وينصت حـولها نفر
تنمو وتـزهر حيث لا شجر   ينمو ، وحيث نما بها الشجر
يهفـو النزيل لهـا وينشـدها   سارون فوق جمالهم سهروا
قـوم سـمـاء اللّه فـوقـهم   وملوكـهم لسمـائهم صـور
إن يذكـروا بالحـمـد راعـيـهم   فـهم الرعـاة ، وهكذا فطروا
هم فى صراحة أرضهم نشأوا   وعلى هدى لألائها ظهـروا
بُلغاء ما عـرفوا السطور على   غير الرمال ، وعاش ما سطروا
حـرمتـهم الأيام فـاصَطبروا   ومتى أصابوا نعمة شكروا
فـاروق قِـبْلَتـهُم إذا رحلوا   وإليـه مـوئلهم إذا حـضـروا
يا ملبسًا أجـسـادهم حللا   شـرّفت أَنفـسـهم بما ادثروا

* * *

المُلْكُ والآفـاقُ والقَـمَـرُ   والبـحـر والبـيـداء والذُّكَـر
أَمَـدٌ تفـوت العينَ غـايتـه   وتموج فى أنحـائه الفكر
هى رحلة طالت مـفـاخـرها   ويعـد فى أَيامـهـا قـصَـر
لو فُـرِّقت فى الدهر لاتسعت   لشعابها الأحقاب والعصر
فى سـاحـة الفـاروق يملأُها   ذخـر الحـيـاة ، ويحـجم الخطر
تنقـاد طائرة وسـابحـة   ويطيب منها الورد والصدر (١)

* * *

(١) بعض هذه الرحلة تم بالطيارة ، وبعضها بالسكة الحديد والباخرة .

تمثال سعد

نظمت تحية لتمثالى زعيم مصر الكبير سعد زغلول عند رفع الستار عنهما بالقاهرة والإسكندرية (٥ أغسطس سنة ١٩٣٨) .

* * *

الروح فى وادى الكنانة حائم ... وجلال شخصك فى النواظر قائم

ما غاب منك سوى مثال عارض ... يمضى ، ويخلفه المثال الدائم

مَلكُ البلاد المستقل وشعبها ... فى محفليك مساهم ومساهم

أَمَلٌ لعمرك لم تطاوله المنى ... شرفًا ، وحلم ما رآه الحالم

تُزهى به مصر ويزهى الشرق من ... كثب ، ويعجب من صداه العالم

* * *

فاروق مولده ومولد نهضة ... تنمى إليك ، كلاهما متلازم

فإذا أظلك عرشه وجلاله ... فالعدل قسمته ، ونعم القاسم

شِيَمٌ من الخطاب جمَّع شملها ... العادل الفطن الكريم الحازم

مَن غير فاروق يصوّر أُمةً ... أنت الزعيم لها ، وأنت الخادم

مَن غير فاروق يبارك نهضة ... منه الرجاء لها ومنه العاصم

من غير فاروق يقلد رتبةً ... والصولجان بكفه والخاتم

من غير فاروق يجل رعية ... حوليه سابقُ مجدها والقادم

من غير فاروق تنصّ يمينه [1] ... علمًا للاستقلال فيه علائم

حياك أو أحيا رجاءك عاهل ... عهدُ البلاد به جديد باسم

ملك كما ترجو لمصر مصدّق ... بشراك ، مرتسم لما هو راسم

غمر البلاد بحبه وولائه ... فولاؤه فرضٌ عليها لازم

---

(١) تنص : أى ترفع .

ركنان للوطنيـــة المثلى همـــا عرشٌ ، وشـعب حـوله يتـزاحم
فـاهنأ بما بُلِّغت من حـبيـهـمـا واغنم ولاءهمـا فـأنت الغـانم

* * *

تمثالَ سـعـد فى الجزيرة ساهرًا هيهات يغفل منك لحظ صارم
النيل حولك لا يغيب هنيـهـة عن ناظريك ، وأنت عنه صائم
شأن لربك فى الحياة حكيتـه فـالظل للغـضن الوريف مـوائم
كم صام سعد عن مناهل حوضه ويعبُّ مغـتـصب وينهل غاشم
كم بات يرعـــاه ، وليس بمُرْتَع من خيـره مـا يرتعيـه الحاكم
كم غاب عنه ولم يغب عن همه والبـحـر دون طريقـه مـتـلاطم
بك زادت الأهرام ركنًا والتقت منهـا على بعـد الزمـان دعـائم
تلك الصروح على اختلاف بنائها فى الجيـزة الفـيحـاء هن توائم
نهضت على استقلال مصر دلائلا يَعْـيـا بنقض بنائهن الهـادم
اليـوم آن لجـانبى تاريخـهـا ألا يظلهـمـا دخـيل داهم
فى الضفة الأخرى بقية عسكر قاومتهم جهد المطيق وقاوموا
مصرٌ تضيق ، على اتساع رحابها بكمـا فـأيكمـا المقيم القـائم ؟
لم تستـقـر على دعـامك آخرًا إلا لأنـك بـانتظـارك جـــازم
والنصـرُ ردُّك للعـدوِّ مـواليًـا لا أنت راغـمـــه ولا هو راغم
سـعـد على النيل الوفى ومثله سعد على البحر القوى متاخم
ما أعجب الصنوين للفرد الذى أَعْـيـا بصنويه المدى المتـقـادم
أمـــجـاورَ الميناء إنك لم تزل ميناء مصر ، والخطوب خضارم
متمكنًا من حيث يُقْبلُ قادم كَـرمت وفـادته ، ويمنع قـاحم
نعم اختـيـار الموقفين لحـارس وطنًا يحـارب دونه ويسـالم

* * *

يا سعد هلا من لسانك قولةً ... يَرْوَى بها هذا الزحام الهائم ؟
يمناك تومئ بالكلام فأين من ... إيمائها الصوت القوى الناغم ؟
عجبى لشىء فيه منك ملامح ... أن ليس يُسمع منه قولٌ حاسم!
عجبى لشىء فيه منك ملامح ... أن ليس يَخْفقُ فيه قلب عالم !
أخذ الحديد الصلب منه عزيمة ... والصخر بأسًا يتقيه الصادم
وتشابهت ثَمَّ الأسارير التى ... قد شابهتك بمثلهن ضياغم
وتحجبت تلك الأفانين التى ... ضاق الصنّاع بها وَعَيَّ الراسم
إن لم تصورها اليدان فربما ... خفيت فصورها الضمير الراقم
إن لا تحدِّثنا فكلٌّ محدِّث ... من فيض روحك ناثر أو ناظم
أو لايكن لفظ فدون الوحى من ... معناك - كلّ اللافظين أعاجم
الناس حولك سامع أو ذاكر ... ما كنت توشك أن تقول ، وفاهم
قف فوق منبرك الجديد فلم يزل ... لك منبر عالى الذرى وقوائم
يصغى إليه العابرون فيقتدى ... داع إلى الحسنى ويخجل آثم
هذا المثال الحىُّ إما حامد ... للعاملين غدًا ، وإما لائم
هذا المثال مؤيِّد من ثابروا ... مُزْرٍ بمن قَصَروا الخطى وتناوموا
خصم لكل مخالف آراءه ... وفعّاله وهو القوىُّ الخاصم(١)
جدد لهاتيك الرءوس حياتها ، ... بعض الرءوس وإن حيين جماجم
ما كان تمثالا يماط ستاره ... بل منسكًا للحج فيه محارم
بل تلك جامعةٌ يَؤُمُّ دروسَها ... متعلم سنن الحياة وعالم
تلك الرياح مجاذبات غطائه ... رسل من العرش العلىِّ حوائم (٢)
فاروق أو مزجى الرياح كلاهما ... للغيب ، من خلف الحجاب ، تراجم
والغيب يُلْهَمُهُ المليكُ إذا اتَّقى ... ويَفُضُّ من فحواه ما هو كاتم

---

(١) الخاصم : الذى يتغلب على خصمه فى الخصومات .

(٢) قبل رفع الستار بأيام جذبته الريح فانكشف ، فتفاءل بذلك الذين أشفقوا من تأخير الاحتفال برفع الستار .

* * *

يا أسبق الأعلام ربك سابق ... فى حيثما استبقت بمصر عظائم

ما قام للفلاح قبل مثاله ... علم ، ولا دُعيتْ إليه معالم

صعدوا على أكتافه وتسنموا ... أَوج المَنابر وهو جاث جاثم

فاليوم يبتدئ الزمان بخلقه ... حتى كأنك أنت فيهم آدم

شرفًا أبا الفلاح ما استفتحت من ... همم ، وما استتلى بعزمك عازم

* * *

لك لا تزال ولن تزال رسالةٌ ... ما للعظائم إن بدأن خواتم

* * *

ثناء على ماهر

ثناء الكرام على ماهر [1] ... ثناءٌ على الرجل القادر

على رجل زاهد فى الثنا ... ء إلا من الأثر العاطر

على من يسير بأعماله ... فَيُقْبِلُ فى جحفل زاخر

ومَنْ كلُّ أَيامه صالحا ... ت لحفل بتكريمه عامر

فلا حيرةٌ فيه للمُحتَفى ... ولا حيرة فيه للشاعر

تجيء مدائحه الصادقا ... ت عَفْوَ البديهة والخاطر

فسيانِ إحصاء أَعماله ... ونظم المقرظ والشاكر

* * *

بياناته مثل أَرقامه ... حقائقُ للحاسب الحاصر

وآراؤه فى ثنايا غد ... كرؤية عينيه للحاضر

---

(١) من قصيدة فى تكريم الدكتور أحمد ماهر باشا (يوليو ١٩٣٩) .

وباطنه فى مـواعـيـده كـصـفـحـة عنوانه الظاهر
له شـدة الحق فى بأسـه تمازجـهـا رقـة الساخـر
وإنصافـه مـأمن للعِـدَى وإخـلاصه عـصـمة الناصر
وإقـدامـه فى قـضـاء الفرو ض إقـدام مـستبسل صابر
إذا مـا اطمـأن إلى واجب فليس بِوانٍ ولا قـاصـر

* * *

أولى الأمـر طوبى لكم يومكم وطوبى لكم ذُكْـرَةُ الذاكـر
فـسيروا بأوطانكم وانهـجـوا بهـا نهج مـبـتكر باكـر
وهاتوا مـدى جـهـدكم تبلغـوا مـدى الحـمـد من وطن قـادر
لكم من بنيـه ومن عـرشـه مـعـاونة العـارف العـاذر

* * *

عيد الجهاد
«١٣نوفمبر ١٩٤٠»

حُيِّيتَ يا عـيـد الجـهـادْ حـيـيت يا يوم المعـادْ
يا يومَ مِـصْـرَ ومـا لهـا من ناصرين ، ولا عـتـادْ
عـزلاء إلا من سـلا حـيـهـا : الرجـاء والاتحادْ
بهـمـا تصـد الظافـر ين ولا تُصَـدُّ ولا تُصـاد
وتقـود أشـتـات الصـعـا ب ولا يَلينُ لهـا قـيـاد
وتعـانـد الأسَـدَ الهـصـو ر ولا يـطـاق لـه عـنـاد
تـلـقـاه يوم تـزلـزلـت من بأسـه السـبـع الشـداد
والأرض بـين يـديـه طـيِّـ ـعـة الأعـنـة والوهـاد

* * *

حُـيِّـيتَ يا يومَ الجـهـا د ولا سُـؤالَ بِمَ الجـهـاد ؟

كَـلاًّ . ولا من قـائل أين الجـحـافل والجـيـاد ؟

جـمـعت بلادٌ أمـرها وكـفـى بما جـمـعت بلاد

وأراد سـعـد فـانبـرى وطنٌ يحـقـق مـا أراد

مـا السيف فى اليد غـالبًا إلا إذا غلـب الفـؤاد [1]

* * *

حـيـيت يا يوم الجـهـادْ يومَ الجـهـود والاجـتـهـاد

يوم الكرامـة والجِـلاَ دِ بل ، السلامـةِ والسـداد

كم عـاقل فى الاقـتـحـا م وجـاهـل فى الارتـداد

ومـحـصِّل فـيـمـا أَضـا ع ، مُضيِّع فيـمـا استـفـاد [2]

* * *

وطنى سلمت من الغُـوَا ةِ ولا سلمت من الرشـاد

مـا فى الجـهـاد غـواية إنَ الغـواية فى الرقـاد

وطنى خَـذَلْتَ الخـادعـ ـين ولا خَـذَلْتَ ذوى اعـتـقاد

مـا فى الصـعـاب خـديعـة إن الخـديعـة فى المهـاد

وطنى تبـينت المُصـا رِحَ والمُـداجِـى فـى الـوداد

مـا فى اللهـيب خـبيـثـة إن الخـبـيـثـة فى الرمـاد

وطنى فـررتَ من الهـوا ن ولا فـررتَ من الجـلاد

مـا كل خطب يُتَّـقـى أو كل أمـن يسـتـزاد

وطنى . ومـا وطنى علىٌّ بهـيِّـن بين البـلاد

يا ليـتـه مما يهـو ن فأَستـريحَ «على الحياد» !

---

(١) ما هنا تعمل عمل «ليس» وتؤدى معناها .

(٢) أى : كثيراً مايكون الاقتحام من العقل ، والارتداد من الجهل ، والكسب فى الإنفاق والخسارة فى الاكتناز وعدم النفقة .

* * *

حـاشـا لمصـر ولى وللسـا   دات فـيـهـا والسـواد

إنـى نـذرت لـهـا دمـى   ومُنىً يضن بـهـا الجـواد

وشـرعت فى مـيـدانهـا   قـلمـى وإن نَفِـدَ المداد

وعلمت أن لـهـا غـدًا   يُرْجَى ، وأَمسٍ يستـعـاد

* * *

شـبـان مـصـر تزودوا   لغـد ، وبعـد غَـد ، بزاد

أَنتم حـمـاةُ عـرينهـا   ولكم مـعـاقلُهـا تشاد

إن ذاد غـيـركم العـدا   فـرداً فـلا كـان الذياد

أَوْ سُـدْتُمُ فى أُمـةٍ   ذَلَّتْ فـفـرحـتـهـا حـداد

من ذا يـسـود وحـولـه   وطن على ضـيـم يسـاد

لا يَخْـجَلَنَّ غـدٌ إذا   مـا حَلَّ من عـيـد الجـهـاد

* * *

إلى مهرجان السودان

يا جـيـرة المورد فى الوادى   كـونوا هناكم مـورد الصـادى

صـادٍ إلى الماء وصـادٍ إلى   علـم لمن يطلبـه هـاد

هاد كما قد أسفرت شمسكم   بسـاطع فى الجـو وقّـاد

لولاً مـعـاذيرى لَحَـيَّـاكُمُ   منى مُطيفٌ رائحٌ غـاد

فإن أكنْ أوفدت شعرى لكم   فـذاك عندى خـيـر إيفـاد

إلى اللقـاء المرتجى فى غـد   تحـيـتى للحـفل والنادى[1]

---

(١) هذه الأبيات هى تحية صاحب الديوان إلى مهرجان الأدب الذى يقيمه أدباء السودان مرة فى كل عام .

في عالم الذكرى

ثلاث عشرة حجة [1]

مـــرت بنا الأيام وثبـــا سلمًا كـمـا شاءت وحـربا
لا أحـــسنت حـــربا ، ولا في السلم طاب السلم غبًا [2]
ضمنت لجيشيها معًا غَضْبًا كما اشتهيا وغَلْبا
فـــإذا الحـــوادث أقـــبلت أو أدبرت فـــالخلق نُهْـبَى
العــــام من أعــــوامنا يحوى - جزاه الله - حقبا
وثلاث عـــشـــرة حـــجـــة قلبت طبـاق الأرض قَلبـا
سلهـــا عن الدنيـــا ومـــا صنعت بهـــا شرقًا وغـربًا
سلهـــا عن الوادى ومـــا صنعت به دفـعًـا وجـذبا
لا ضــيــــر بالماضى إذا دار الزمـــان فطاب عُـقْـبَى

* * *

فـــألاً من الذكــــرى وكم فأل طَوَى فى الغيب حُجْبا
وهداية منهـــا وقـــد تهـديك فى الظلمـاء قطبـا [3]

* * *

يا سـعـدُ يَوْمَك فـاسـتجب قلبًـــا لمن يدعـــوك قلبـــا
جـــرِّد عــــزيمتك التى أغنت عن الصمصام غربا [4]
وابعث نصـيـحـتك التى أغنت عن التـرياق طبـــا

---

(١) ألقيت من محطة الإذاعة المصرية فى ذكرى وفاة سعد ، سنة ١٩٤٠ .

(٢) الغب العاقبة .

(٣) إشارة إلى نجم القطب الذى يهدى فى الظلام . (٤) حدا .

وانشــــر فـــرائدك التى أَغنت عن العـقيـان كـسـبا
هذا نذير الشــر هَبَّــا وإلى حـمى مـصـر اشـرأَبا
وســرت إلى إفــريقــيـا عــدوى الجــهــالة من أوربا
طمـــعــوا بحـــوزة أُمــة ظَنُّوا لهـــا الغــفــلاتِ دأَبا
إن قـــيل لا خطرٌ غـــفت عـــينًا وتاهت عنه لبــا
أو قـــيل لا طمعٌ فـــلا طَمَعٌ وقَــرَّتْ مـصـرُ سـربا
أو قـــيل يا أُم انهـــضى نهـضت وراحت مـصـر تأبى
تجـرى المخــاوف حــولهــا وتخـــاله الأَمن اســتــتـبا

* * *

ياســـعــد أَنت إمـــامــهــا فــاهتف بهـا مـلا وشَـعْـبا
صَدَعَ الشـقـاقُ صـفـوفَـهـا وجـمـعـتـهـا بالأمس حزبا
فـــاجـــمع جـــوانب رأيهـــا شعْبًا على الحسنى فَشعْبا
قل أَنتـــمـــو أعلى يدًا من عــابدى الإنســان رُهْبَى
ذلوا فلمـــا اســـترسلوا تاهوا [(١)] بقـيـد الذل عُـجـبـا
وإذا أَتوا عـــدد الحـــصى فـــرمـــالكم أوفى وأَربى
جـــدب من الصـــحـــراء أَغلى من جـــمـــيم الروض تربا
ظمـــآن يشـــرب كل من يُغْــرى بكم أكــلا وشــربا

* * *

وقل اســـتــعـــدوا واسلكوا فى مـــفـــرق الحـــدَّين دربا
لا تُصـــغــــروا هولا ولا تستكبروا الأَهوال رعـــبــا

---

(١) تاه يتيه : زها واختال .

وتبـــينوا أَين الفـــريق — الحـر فـاتخـذوه صـحـبـا
دارُ الـذين ســبـتــهـم — حـرية - هيـهـات تسـبى
ضِنُّوا بمصـر على العـدى — وعلى الذى يحتـال خـبـا
وحـذار دعـوى مـعـشـر — لـم يـؤمـنـوا بـالحـق ربـا
لا رحـمـةً عـرفـوا ولا — عـرفـوا لغـيـر الشـر حـبـا
القـدوة العليـا لـهـم — وحش على العـدوان شـبـا
عـقـدوا على البغـى العـرى — تبت يد البـاغـى وتبـا

* * *

يا آل مـصـر تذكـروا — سـعـدًا ففى التذكـار قـربى
إنى اسـتـعـرت بيـانه — فـعلىَّ إن قـصـرتِ عُـتْبَى [١]
إلا اللبــاب فــإننى — فى الرأى مـا أَخطأت لبـا
سـعـد إذا أَمـضـى مـضى — وإذا دعـاه الهـول لبى

* * *

تحية زعيم راحل [٢]

أكبرت فى غيب الزعيم محمد — من كان يكبر حاضرًا فى المشهد
حجب الردى عنا بشاشته ولم — يحجب بشاشة ذكره المتجدد
هيهات ينتقص الزمان مجادة — للسيد بن السيد بن السيِد
فخر الصعيد، وفخر مصر جميعها — بالرأى، والخلق القويم الأيد
من يُرْسِلُ المُثْنى عليه ثناءه — مسترسلا فى القول غير مقيد

---

(١) معنى البيتين : أنى استعرت بيان سعد ، فإن قصرت فى هذه الاستعارة فالعتب علىَّ . أما لباب المعنى فلا تقصير فيه ، لأنى لم أخطئه .

(٢) ألقيت بقاعة الاحتفالات بجامعة فؤاد الأول يوم الأربعين لوفاة المغفور له محمد محمود باشا .

جمع القلوب على المديح وإن مضت

نهجين بين مصوّب ومصّعد [1]

لم تُقض فى هذى الديار قضية ... ومحمدٌ مما قضوه بمبعد

مِلْءُ الندِىِّ وإن تطامن دقة ... كم دقة شحذت مضاء مهنّد

* * *

فى دارة الفلكى قبلة كوكب ... يعلو على رصد المنايا الرصّد

تطوى المغارب جِرْمَه ، وشعاعُه ... متألّقٌ فى أَوْجِهِ لم يخمد [2]

أكبرت مطلعه ، ولم يك طالعى ... فى كل حين عنده بالأسعد

ورأيته أقصى وأقرب رؤية ... فإذا البروج لكوكب متوحد

مهما اختلفت حياله لم يختلف ... سمت السماء ولا علو المقصد

متحرزٌ مما يعاب كأنه ... متقيِّد المسعى ، ولم يتقيد

شفَّت سرائره ، فكل سريرة ... فيه تضيئك من سراج موقد

فإذا عهدت المحض من عاداته ... لم تلق يومًا منه ما لم تعهد

* * *

عَزَّ الكنانَة فيه فهى فجيعة ... تبلو الكنانَة فى الضمير وفى اليد

ما فى مروءات الشعوب مروءة ... إلا رعته بنظرة المتفقد

البر ، والمشهود من آلائه ... بين المحافل دون ما لم يُشْهَد

ومعاهد التعليم بين مشجع ... للعاملين بها ، وبين مزوِّد

وإغاثة الأدب اللهيف ، وإن تشأ ... سردًا ، فعدد ما بدا لك ، واسرد

ونزاهة اليد واللسان هدايةً ... للمهتدين ، وقدوة للمقتدى

---

(١) المصوب : النازل ، وعكسه : المصعد .

(٢) الجِرْم : الجسم ووزنه والأوج : الذروة العليا .

وصراحة الأخلاق ما اشتملت على

مستغلق فيها ، ولا متأوِّد [1]

والعزة الشماء إلا أنها كالشاهق المخضرِّ لا كالجلمد

وسياسة الوادى ، ولم يك رابحًا منها سوى الشجن المقيم المقعد

وعزيمة لاتكره الشورى وإن كانت لتكره حيرة المتردد

شيم وآلاء إذا ما استفردت كالقطب ، عزت فى ازدواج الفرقد

* * *

عَزَّ الكنانة والعزاء ليعرب ما بين مُتْهِمِ قومه والمُنْجِد [2]

كم زاد عنهم والخطوب بمرصد والشمل بينَ مشرَّد ومبدد

للحق ، لا لخبيئة مطوية تلقى العداة الرابضين بموعد

ولنصرة الإسلام لا لعصابة تسعى إلى الإسلام سَعْىَ المفسد

سمح على ما فيه من عصبية سهل ، وإن أعيا قُوَى المتشدد

لا يستطاع على الخصام عناده وعليه تعويل الأخ المتودد

من اكْسُفوردَ ، ولو نماه معشر للأزهرِ المعمور لم تَسْتَبْعد

فيه محافظة ، وفيه طرافة وأراه فى الحالين غيرَ مقلَّد

ورث الحمية كابرًا عن كابر والأريحية منجدًا عن منجد

غيث الفلاة ونيل مصر كلاهما سَقَياهُ من أصليه أعذب مورد

فإذا بكت مصرٌ فغير ملومة وإذا الحجاز بكى ، فغير مفند

* * *

رحم الإله محمدًا وأثابه فى خلده الباقى ثواب مخلَّد

كان السبيل السرمدىُّ سبيله فعليه رضوان الإله السرمد

* * *

---

(١) معوج .

(٢) المتهم : النازل للوادى ، والمنجد : الصاعد إلى الهضبة .

على قبر إبراهيم [1]

« . . . إنا لمحزونون عليك يا إبراهيم ، وإن ما أنا قائل لأيْسر ما يقال فى هذا الموقف الأليم . . .» :

يا قبرَ إبراهيم مالى   بالبيان هنا يَدانْ
بل فيك تنطلق العيو   ن وفيك ينعقد اللسانْ
ما كنت أحسب أننى   ألقاك فى هذا المكان
يا من حملتَ إليه أكر   م ما يعز ، وما يصان
جثمانك العف الطهو   ر وقلبك الجم الحنان
وجبينك السمح الذى   ما هان قط ، ولا أَهان
وعزيمةً لم يثنها   غير الأَمانة من عنان
حزنى عليك أبا خليل   ليس يمحوه الزمان
وجميل ذكرك فى فمى   وجميل صنعك فى الجنان

ماذا أَقول ؟ ومن يعين على رثائك ، أَو يعان

أغناك فضلك ناطقًا   بالصدق عن نطق البيان
فعليك سابغ رحمة   ونعيم خلد راضيان
وسلام ربك عاطرًا   وسلام قومك مجمعان

* * *

(١) ألقيت على قبر السرى الكبير إبراهيم عامر باشا يوم وفاته ، وكان - رحمه الله - مثلا لعلو الهمة ومكارم الأخلاق .

آه من التراب[1]

أين فى المحـفل «مىّ» يا صحـاب ؟
عـــودتنا ها هنا فـــصل الخطاب
عـرشُـهـا المنبـر مـرفـوع الجناب
مستجيبٌ حين يُدْعى مستجاب
أَين فى المحـفل «مىّ» يا صحـاب ؟

* * *

ســائلوا النخـبـة من رهط الندىّ
أَين مىّ ؟ هل علمــتم أَين مىّ ؟
الحــديث الحلو واللحن الشــجى
والجــبين الحـرّ والوجــه السنىّ
أَين ولى كـوكـبـاه ؟ أين غـاب ؟

* * *

أَسـف الـفـن عـلـى تـلـك الـفـنـون
حـصـدتها ، وهى خـضـراءُ ، السنون
كلُّ مــا ضـمـتــه منهن المنون
غـصصٌ مـا هان منهـا لا يهـون
وجــراحـــات ، ويأس ، وعـــذاب

* * *

شِــيَمٌ غــرٌّ رضـيِّـات عــذابْ [2]
وحــجىٍ ينفـذ بالرأى الصـواب
وذكـــاءُ ألمعى كـــالشـــهـــاب

---

(١) رثاء كاتبة العربية الفضلى الآنسة : مى زيادة . ألقى بدار الاتحاد النسائى بالقاهرة .

(٢) عِذاب بكسر العين :جمع عذبة .

وجـــمـــال قـــدسى لا يعـــاب
كل هذا فى التراب . آه من هذا التراب

* * *

كل هذا خـــالدٌ فى صَـــفَـــحـــاتِ
عطراتٍ فى رباها مـــثـــمـــراتِ
إن ذوت فى الروض أوراق النبـــاتِ
رفـــرفت أوراقـــهـــا مـــزدهراتِ
وقطفنا من جناها المســـتطاب

* * *

من جناها كلِّ حـــسنٍ نشـــتـــهـــيـــه
مـــتـــعـــة الألبـــاب والأرواح فـــيـــه
ســـائغ مُـــيِّـــز مِنْ كل شـــبـــيـــه
لم يزل يحـــســـبـــه مَنْ يجـــتنيـــه
مُـــفْـــرَدَ المنبت مـــعـــزول الســـحـــاب

* * *

الأقـــاليم التى تُنْـــمـــيـــه شَـــتَّى
كل نبت يانع ينجب نبـــتـــا
منْ لغـــات طوِّفت فى الأرض حـــتى
لم تدع فى الشرق أو فى الغرب سمتا
وحـــواها كلهـــا اللب العـــجـــاب

* * *

يا لـذاك اللـب من ثروة خِـــصْـــبِ
نيِّـــرٍ يقـــبـــس من حَس وقَلْبِ

بين مـرعًى من ذوى الألبـاب رحبِ
وَغِنًى فـيـه ، وَجُـودٍ مـسـتَـحـبِ
كلَمَـا جـاد ازدهى حُـسنًا وطاب

* * *

طلعـه الناضـر من شـعـر ونثـر
كـرحـيق النحل فى مطلع فـجـر
قـابل النورَ على شـاطئ نهـر
فله فى العين سـحـر أىّ سـحـر
وصـدى فى كل نفس وجـواب

* * *

حىِّ «مـيّـاً» إن مَنْ شـيع مـيـا
منصـفًـا حـيـا اللسـان العـربيـا
وجـزى حـواء حـقّـاً سـرمـديا
وجـزى مـيّـاً جـزاء أريحـيـا
للذى أسـدت إلى أم الكتـاب (١)

* * *

للذى أسدت إلى الفصحى احتسابا
والذى صاغـتـه طبـعًـا واكـتـسابا
والذى خـالتـه فى الدنيـا سـرابا
والذى لاقت مـصـابًا فـمـصـابا
من خطوب قـاسـيـات وصـعـاب

* * *

---

(١) أم الكتاب هى اللغة العربية .

أتُراها بعـــد فـــقـــد الأَبوين
سلمت فى الدهر من شجـو وبَيْن
وأسًى يظلمـــهـــا ظلم الحـسين
ينطوى فى الصمت عن سمع وعين
ويذيب القلب كـــالشـمع المذاب

* * *

أَتراها بعـــد صـــمت وإباءْ
سلمت مِن حـــســـد أَو من غـــبـــاءْ
ووداد كل مـــا فـــيـــه رياءْ
وعـــداءٍ كل مـــا فـــيــه افـــتـــراءْ
وسكون كل مـــا فـــيـــه اضطراب

* * *

رحـــمـــة الله على «ميٍّ» خـــصـــالا
رحـــمـــة الله على «ميّ» فـــعـــالا
رحـــمـــة الله على «ميّ» جـــمـــالا
رحـــمـــة الله على «ميّ» ســـجـــالا
كلمـــا سُجل فى الطرس كـــتـــاب

* * *

تلكُم الطلعـــة مـــا زلت أراها
غـــضـــةً تنشـــر أَلوان حـــلاها
بين آراء أضـــــاءت فى ســـنـــاهـــا
وفـــروع تتـــهـــادىِ فى دجـــاهـــا
ثم شـــاب الفـــرع والأصل ، وغـــاب

* * *

غـــاب والـزهرة تؤتى الثـــمــرات
ثمـــرات من تجـــاريب الحـــيـــاة
خـيـر مـا يُؤْتى حـصـاد السنوات
بعـثــرتهن الرياح العــاصــفــات
ورمـــتـــهـن ترابًا فى خـــراب

* * *

رُدَّ مـــا عندك يا هذا التـــراب
كل لب عـــبـــقـرى أو شـــبـــاب
فى طواياك اغـــتــصــاب وانتـــهــاب
خلقـــا للشـــمس أو شم القـــبـــاب
خُلِقـــا لا لانزواء واحـــتـــجـــاب

* * *

ويْكَ ! مـــا أَنت برادّ مـــا لديك
أضـيـع الآمـــال مـــا ضـاع عليك
مـجـد «ميّ» غـيـر مـوكـول إليك
مجـد «ميّ» خـالص من قـبضـتيك
ولهـــا من فـــضلهـــا أَلف ثواب

* * *

عام محمد (١)

جَدَّدَ العـهـد بعد عام محـمـدٌ | تلك ذكـرى على المدى تتجدد
خلقٌ لا يـزال قـــدوة جـــيـل | بعـد جيل ، أَخلِقْ به أن يخلَّد

(١) أُلقيت فى الذكرى الثانية بعد انقضاء عام لوفاة المغفور له محمد محمود باشا رحمه الله .

بـل طـراز مـن المكـارم بـاق ... كلمـا عـده الكرام تعـدد
ومعان غراء هيهات تُحْصَى ... كثمار الفردوس هيهات تنفد
إنما يُذهب الزمـان فـقـيـدًا ... إن تَقَضَّى الزمان لم يُتفقَّد
ليس يُفنى الزمان مَنْ كُلَّما عسـ ... ـعس ليل سمعت : أين محمد؟
أين من كان رحمةً وهو بأْس ... أين من كان أُمة وهو مفرد
أين من كان للمساكين عونًا ... وله فى ذؤابة المجد مسند
أين من كان مُنْيَةَ المتمنى ... فى مغيب من الوداد ومشهد
أين من عوّد الإباء صبيًّا ... ولكل من دهره ما تعود
أين من كلما تقلد امرًا ... صان فى جيده عرى ما تقلد
أين من كان مرجع القوم فيما ... صدع العزم أيديا [1] فتبدد
أين من كان قولهم فيه شتى ... والطوايا فى وصفه تتوحد
أين من كان قائدًا وهو فيما ... نتقيه جندىٌّ مصر المجند
سألوا أين أين ؟ وهو قريب ... مِنهُمُ فى جواره غير مبعد
هو فى كل معهد يتراءى ... هو فى كل مسمع يتردد
هو فيهم وقد تغيب عامًا ... لا يُرى قاصدًا ، وإن كان يُقصد
رب دان مجسد لا نراه ... وبعيد نراه غير مجسد [2]

* * *

مصر يا أُمة الخلود المشيَّد ... والوفاء الذى رسا وتوطد
أنت فى نعمة وخير عميم ... ما تعهدت خير ما يُتعهد
لك فى الذكريات كنز رجاء ... أبد الدهر بابه لا يوصد

---

(١) صدعه أيديا : أى حطمه بددا وشتته وبعثره .

(٢) رب قريب ملموس لا يرى لتفاهته ، ورب بعيد غير محسوس نراه للحاجة إليه ولأهميته .

فـاذكـرى الغـابرين وادخـريهم   لغــرار ينضى وعــزم يشـــدد
إنهم مـــهـــدوا الطريق ولولا   خطوهم فيـه لم يكن بالممـهـد
اذكــرى كلمـــا بلغت زهيـــدا   من أمـــانيك أنه كـــان أزهد
واذكـرى كلمـا بلغت عظيـمـا   أن جهد المصرى فى المجد أجهد
إن ما ضاء كان بالأمس ظلما   ء وما ابيض كان بالأمس أسود
والذى فى يديك كـان سـرابا   زمنًا ثم صار يُجنى ويحـصـد
وارقــبى العــالم المطل علينا   من غـد . إنه جنين سـيـولد
الحـــروب التى تضج وغـــاها   هى نجوى مخاضـة تتصعـد
إننا فى يديه لعـــبـــة لاه   إن جحدناه أو حسبناه يُجحد
ما مضى من زماننا أو سيأتى   فى يدى ذلك الجنين سيحشد
الجنين الموعـــود لا تجــــهلوه   يا بنى مصر فهو للجهل مُرصد
هو حى ، إن لم يكن قد تسمَّى   باسـمـه فى قـرابه فكَأَنْ قَدْ [1]

فـاجـمـعـوا عُـدَّةً من الأمس تُرْضَى
واجـمـعـوا عُـدَّة من الغـد تُحْـمَـد

أنـتـم فـى كـنـانـة الله أهـل   أن تصدوا السهام وهى تسدد
ولكم من صيـانة الله شـروى   ما تصونون من فخار وسؤدد
كل حق لكم فـغـيـر مضـاع   ما رعيتم حقًا لمثل محمـد

* * *

(١) «كأنْ قد» تعبير معناه أن الأمر كأنما كان وتم .

الشهيد معاوية

... احتفل أدباء السودان بتأبين الأديب السوداني النابغ معاوية محمد نور ، وقد لقى نصبًا من سقامه وعوجل - رحمه الله - فى ريعان صباه دون الثلاثين ، بعد أن بشر العالم العربى بأمل كبير لم تنجزه المقادير .

وقد أرسل صاحب الديوان هذه القصيدة لتلقى فى يوم تأبينه ، عوّض الله الأدب فيه خير العوض ، وعزى الأدباء أحسن العزاء :

أَجل هذه ذكرى الشهيدِ معاوية
فيا لكِ من ذكرَى على النفسِ قاسية

أجل هذه ذكراهُ لا يومُ عُرْسِه ... ولا يومُ تكريمٍ ، ودنياهُ باقية
فما أقصرَ الدنيا التى طوّل الضنى ... أصائلَه فيها ، وأشقَى لياليه
وما أضيعَ الآمالَ آمالَ من رأوْا ... مطالعَه فى مشرق النورِ عالية
ومن أيقنوا أنَ الهلالَ الذى بدا ... علىَ الأفق أحرى أنْ يعمَّ نواحيه
بكائى عليه من فؤَاد مفجَّع ... ومن مقلة ما شوهدَتْ قطُّ باكية
بكائى على ذاكَ الشبابِ الّذى ذوى ... وأغصانُه تَخْتالُ فى الروضِ نامية
بكائى على ما أثمرتْ وهْىَ غضةٌ ... وما وعدتنا ، وهىَ فى الغيبِ ماضية
فضائلُ منها نخبةٌ أزهرتْ لنا ... لِمامًا ، وأُخرى لم تَزلْ فيه خافية

* * *

تبينتُ فيه الخلدَ يوم رأيتُه ... وما بان لى أن المنيةَ آتية
وما بانَ لى أنى أُطالع سيرةً ... خَواتيمُها من بدئها جِدُّ دانية
وأَن اسمه الموعودَ فى كل مقولٍ ... سيسمَعُه الناعونَ من فَم ناعية
أجل هذه ذكراهُ يا نفس فاذكرى ... فجيعتنا فيه ، وما أنتِ ناسية

أجل هذه ذكراه يا عين فاذرفي — عليه شآبيبَ[1] المدامع دامية
إذا قَصرت أيامُ من نرتجيهم — فيا طولَ حزنِ النفسِ والنفسُ راجية
ويا طولَ حزنِ النفس وهي منيبةٌ — إلى اليأس من عجزٍ بها، وهْي آبية
فيا يومَ ذكراهُ سنلقاكَ كلما — رجعتَ إلينا، والضمائرُ صاغية
ويا عارفيه لا تضِنوا بذكره — ففي الذكر رُجعى من يد الموت ناجية
أَعيروه بالتّذكارِ ما ضنَّ دهرهُ — به عيشةً في مُقبلِ العمرِ راضية
وزيدوا النفيسَ النزرَ من ثمراته — بتكرارها في القلب أُولى وثانية
فإن لم تكن في العد كُثْرًا فباركوا — معانِيَها حُبًا، ووفّوا معانيَه
عليه سلامٌ لا يزالُ يعيدُه — ويبديهِ شادٍ في الديار وشادية

* * *

عبد القادر

جل المصاب بفقد عبد القادر[2] — ويح البيان على المبين الساحر
الباحث المنطيق في تاريخه، — الملبس الماضي لباس الحاضر
الناقد الأنباءَ نقد صيارف، — الوازنِ الآراءَ وزن جواهر
المستعين على السياسة بالحجى — والعلم، والقلم القوى القاهر
والحجة العليا التي ما طأطأت — يومًا لمنتقم ولا لمناظر
الدارس الأيامَ درس مجرب — يلقاه باطن سرها كالظاهر

(١) جمع شؤبوب، وهو دفعة المطر.

(٢) هو فقيد الكتابة والصحافة، المرحوم عبد القادر حمزة باشا، صاحب «البلاغ».

الصابر المزجى الخطوبَ بصبره حتى يَزُلْنَ ، ونِعْم أجرُ الصابر
البـاذلِ الدنيـا علىِ علم بهـا في اليسر والإعسار ، بذل مسافر
المستـعـزَ بوحـدة الأسـد الذى يأبى التجمع فى القطيع النافر
الراسخ الجم الوقـار ، بغيـر مـا عنت يصـيب مـلالة من زائر
الصامت النزر الكلام بغير ما حَصَر يعيب ، ولا كَلالة خاطر
الوادع السـهل الطباعِ بغير ما سَلَس لِباغ ، أو مـهـابَة آمـر
الصاحب المبقى علىَ أصحابه مـا بين واف منهم أو غـادر
الوالد البـر الرفـيق بِوُلْدِهِ وبآله رِفْقَ العليم الشـاعـر
الثـائر الوطنى فى مـيـدانه عـجـبى له من مـسـتـقـر ثائر
الصـارم الماضى السـلاح وعنده بعد ارتداد السيف عتبى عاذر
عرف الحقائق فاستراح جنانه من سرعة الشاكى وبطء الشاكر
ووعى عـواقـبـهـا فلم يع صـدره بغـضًـا لمعـتـقـد ولا لمكابر

* * *

علـمى بـه علـم المطالـع زاده علم على بعـد ، وعلم معـاشـر
كم مـرَّ من يوم ضحـوك بيننا أو مـر من يوم عـبـوس كـاشـر
خضنا الحياة معًا على علاتها متلاحقين مع الشبابِ الباكر
وجرى يراعانا [1] معاً فى حلبة عزت على غير الطِمِرِّ الضامر
ذكـــراه والأيام عـــابرة بنا نعم العـتـاد لذاكـر ولعـابر
ذكرى القشيب من الشباب تزينها ذكرى المشيب من الجهاد الظافر
عهدان من عمْرين لو نُسجا معًا لم تدر أَيهـمـا مكان الآخـر

* * *

(١) أى : قلمانا .

يا يوم منعـاه سـبـقـت بمنذر ... في الصدر من وحي الهواجس صادر
يومٌ لمست النحس قبل صباحه ... وطويت فيه عل الهموم ضمائري
ومشى النهار إليَّ منقبض الضحى ... كالليل ، مشية مستكين عاثر
حُيرت فيه فحين زالت حيرتي ... زالت بأفـدح من ظنون الحـائر
بذهاب نابغـة ومـصـرع غـالب ... وخـتـام عـهـد بالعظائم عـامـر
وفجيعة لا كالفجائع في أخ ... وزمـيـل أقـلام وصنو منابر
تمضي السنون وفي الصحائف صفحة
تبـيض فـخـرًا ، وافـتـقـاد مـحـابر
ما كان خط مداده في طرسها ... إلا بياض جبينها المتباشر
أسفى عليها وهي لابسةٌ له ... ثوب الحداد من البياض الشاغر
وعـــزيزةٌ للنابغين نظائر ... في الشرق تتلى بعدهم بنظائر
فإذا بكى الباكي عليه فإنما ... يُذرى الدموع على عزيز نادر
وإذا جزيناه الوفاء فبعض ما ... وفى الحقوق لحاضر ولغابر
إن الذي حفظ العصور بذكره ... حقٌ له ذكرى الثناء العطار
وتراث عبد القادر الباقي لنا ... فيه «البلاغ» لقارئ ولذاكر

* * *

هنا وهناك

تفسير حلم

مهداة إلى صحيفة النيل الغراء بالخرطوم

تفسير حلمى بالجزيرة [(١)] وقـــفـــتى فى المقـــرن
حلمـان حظهمـا خيـا لا دون حـــظ الأعـــين
مـا دمت بينهـا فمـا أنا سـائلٌ عن مـسكنى
وإذا التـذكـر عـاد بى عطف الجـديد فـردّنى
يا جـيـرة «النيل» المبـا رك : كلُّ نيل مـوطنى
وله سـمىٌّ فى الصحـا فـة مـعرب لم يلحن [(٢)]
حـيـيت فـيـه سـمـيّهُ وحـمـدت فـيـه مـأمنى

* * *

صوت السودان

صوت [(٣)] منِ السودان أَسـ ـمعنى بمصر فـسرَّنى
تهـفو له الأسـمـاع صـا غـيـةً ولم يسـتـأذن
فـيـه بشـاشـة وامق ومـبـشّـرٍ ومـؤَمِّن
لولا حـفـاوته الكريمة مـا علمت بأننى [(٤)]

---

(١) إشارة إلى جزيرة مصر المشهورة ، والمقرن هو حديقة بالخرطوم فى موضع الاقتران بين النيلين .
(٢) السمى هو من يحمل الاسم نفسه ، ويقصد أن لنهر النيل سميا فى الصحافة هو صحيفة النيل .
(٣) إشارة إلى صحيفة «صوت السودان» الغراء من أكبر صحف الخرطوم .
(٤) هذا الوصل لا يرضاه العروضيون ، ولا نجرى على مذهبهم فيه .

فــارقت من مــصــر الجـديدة ذات يوم مــسكنى

شكراً لـه صــوتا تَبـ ـيـن من لـســان بيّن

مــسـتلهم لغــة القلو ب مــتـــرجم بالأعين

شــمل العــروبة كلهــا وســرى إلىّ فـخـصنى

مـاذا أقـول وقـد سُـبقـ ـت بكل قـــول ممكن

قِـدَم العــهـودِ أحَـبُّ لى من بدعـــة المتــفنن

مَن كـــان ديدنه الصنا عـة فـالسليـقـة ديدنى

* * *

شعر الأسود

كم هازلٍ بالشـعـر جهـده

يهـذى به ويعـاف جـده

ما الشعر للنسناس وحده

كم ألهم التبـيـان أُسـده

* * *

القمر والظلام

لا أوثر القــمــراء فى حـسنهــا على الدجى ، والطرف فيه يحوم

سناك يا بـدر يرينـى الثـــرى وظلمــة الليل ترينى النجــوم

* * *

صداح الأثير [1]

مـلأَ الآفـاق صـداح الأَثيـر — لا فضاءَ اليومَ . بل صوتٌ وَنورْ
لك من كل فـضـاءِ شـاسع — حيـثـمـا يممتَ ، داع وبَشيـرْ
ما صفاء الجو إن فتشتـه — غـيـر أصـداء حـواليك تمور
لَجَبٌ لكنَّهُ مـسـتـأْذنٌ — يطرق السـمع بسلطان قـدير
أَو هى الأرواح إن قلت احـضـرى
حضـرت ، أو شئت أَعياها الحضور
قـيل أَمـواج . فـقلنا وبحـور — من مـعـان وبيـان وشـعـور
تركب الأَلبـابُ فـيـهـا سفنًا — سبْـقـا بين طويل وقـصـيـر
حـملت من كل زاد ، وقَـرَتْ — كل غـاد ، ووعت كل أثيـر [2]
ولهـا فى كل يوم مـدد — يلتـقى الأول فـيـه والأخـيـر

* * *

كـان فـرعـون له مـجلسـه — وهو ذو الصرح المعلَّي والسرير
ولنا فى كل دار مـجلس — يسع العـالَم أيان يدور
هو ناد لك ، أو مـدرسـة — أو مجال السبق ، أو ملهى السرور
غـلـب الـوهَـم الـذى زينـه — فى الأساطير خيالٌ مستطير
دعـوة المارد إن قـيـسـت إلى — دعـوة المذياع ظن وغـرور
بورك العلم لعـمـرى إنه — من صـفـات الله ، والله قـدير
ربما أَسـمـعنا فى غـده — نغم الأفلاك ، أو صوت الضمير

(١) اقترحت محطة الإذاعة المصرية موضوع هذه القصيدة لتحية المحطة العربية بلندن عند الاحتفال بمرور عامين على افتتاحها .

(٢) الأثير هنا بمعنى المأثور ، وهو المفضل المنتقى .

مُسْمِعَ العالم فى عاصمة تسبح الدنيا إليها وتطير
لا يَقرُّ الدهر إن مادت فإن سكنت فالدهر حوليها قرير
بنيت حينًا على البأس وما رصدته اليوم إلا لمغير
جمعت أوصالها حريةٌ يستوى فيها قليل وكثير
وخصيم الأَمس من أعدائها هو فى معمعة اليوم نصير
كلهم ، والأمر شورى بينهم ، مستجير فى حماه ومجير

* * *

عامك الثالث أَم شرخ الصبا ؟ أنت فى مهدك جبار جسور
لستَ بالحبْو خبيراً إنما أنت بالوثب على الأفق خبير
راكبُ الريح إذا قيس إلى خطوك الوانى سلحفاة كسير
حدّث الدنيا حديث الضاد من ساحة رتَّل فيها شكْسبير
وأَعِدْهُ ساريًا حيث سرى زمنًا فى مغرب الشمس المنير
طالما رنت على آفاقه نغمات من نظيم ونثير
من رُبا أَندلس حينًا ومن قمم الأَطلس حينًا والثغور
هاتها فى نسق موصولة يلتقى «بيرون» فيها وجرير [1]

* * *

ناقل السر وما أعجبه فى رحاب الكون من سر جهير
تسمع القطبين ضدين كما يسمع النجوى سميرٌ من سمير
عصب الأَنساب يا هذا الأثير
أنت فى الأرض ، وفى الكون الكبير
كلنا فى رحبه عائلة حين تسرى أَنت أو حين تسير

(١) هو الشاعر الإنجليزى الشهير اللورد بيرون . وجرير بن عطية الشاعر : الأموى الشهير .

تنظم القـربى على طول المدى ... من ذرى الشعرى إلى قاع البحور
عـجـبى من عـالم تجـمـعـه ... أذنٌ - كم فيه من قلب نفور !
قل حديث الحرب والسلم معًا ... رب حـرب هى للسلم عـبـور
أنت بالصـدق كـفيل أَن ترى ... أمم الأرض إلى الحق تصـيـر
يملك اللبَّ حليـفًـا راضـيًـا ... مَنْ له فى دولة السمع سفير

* * *

إلى «المستمع العربى» بلندن (١)

دعوت إلى حق وأَسمعت واعيًا ... فُحيِّيتَ مدعوا ، وحييت داعيا
وآثرت للعرب اللسان الذى به ... تنزَّل وحي الله للعـرب هاديا
وناديتهم من جانب الغرب مثلهم ... فتى عربيّاً واضح الصوت عاليا
أصاخوا فلم يستنكروا القول عجمة ... ولم يسـمـعـوا منه لسـانًا مـداجـيـا
إذا الحر ناجَى الحر فَلْيُلْقِ قوله ... صريحاً ، ولا يومئ إليه مواريا
على ذاك يمضى «اللندنى» محدثا ... فيصغى إليه «القاهرى» مواليًا
ويصغى ابن بغداد إليه محدثًا ... وينقل عنه شـعب مكة راويا
وفى جلق (٢) واع ، وفى القدس شاخص ... وفى برقـة شـاد يجـاوب شـاديا
حقائق فى شرق البلاد وغربها ... يساجِل فيها الحاضرون البواديا (٣)
يؤلف شـمليـهم على البـعـد أَنهم ... أَبَوْا أَن يطيعوا فى سوى الحق راعيا

---

(١) اذيعت فى مطلع العام الثانى لمجلة «المستمع العربى» التى تصدرها محطة الإذاعة العربية بالعاصمة الإنجليزية .
(٢) اسم من أسماء دمشق .
(٣) الحاضرون هم سكان الحواضر .

وأَنهمُ للظالمين بمرصد ... طغاةٌ على من يحكم الناس طاغيا

وأَن الذى أوصى به الشرق بادئًا ... تواصى به الأحرار فى الغرب تاليا

فيا لكِ من حرية جمعتهما ... إلى نسب عال عليه تَلاقيا

وما عصبة الأحرار إلا أخوّة ... إذا اشترك القطبان فيها تآخَيا

فلا جاور الشرق امرؤ يصطفى له ... عدوًا لآمال الشعوب معاديا

ولا زال هذا الشرق بالحق آمرًا ... ولا زال هذا الشرق بالحق ناهيا

* * *

إلى «مسمع العربِ» الكرام تحية ... أُحيى بها عامًا من العمر ثانيا

أرى لك فى سن الفطام شبيبة ... تسابق في العام القرون الخواليا

وأَلمح من بشراك طالع مولد ... تلاقيه أبراج السعود حوانيا

سبقتَ ركاب النصر حتى كأنما ... خففت لتلقاه على القرب آتيا

وأتممت حولا واحدًا فتحوّلت ... مخاوف أقوام فلاحت أَمانيا [1]

فإن شئت كن فألا ، وإن شئت هاتفًا

إذا أَسْمَعَ الضليلَ أَقبل ناجيا

تبلبلت الأَسماع حينًا ، وأَطبقت ... صروف قضاء ظنه القوم قاضيا

وهيهات ما كان الرجاء مغيَّبًا ... لمن رامه ، كلا ولا الأمر خافيا

يقينى الذى لم يطرق الشك سمعه ... سحابةَ يوم أن للحق واقيا [2]

وأَن الذى خالوه صرعةَ هالك ... نذيرٌ إذا ما اشتد أيقظ غافيا

وقد هجر الغافى المضاجع فانظروا ... على الساهر الجهد المكتم باديا

توثب للعدوان فليمضِ واثبًا ... على غرةٍ منه لينقضَّ هاويا

---

(١) اتفق فى إبان الاحتفال بعام المجلة الثانى أن تحولت كفة النصر إلى جانب الدول الديمقراطية .

(٢) كانت أحاديث العقاد دواما تبشر المحور النازى بالهزيمة ، حتى وهو فى أوج انتصاراته .

* * *

إلى مسمع العرب الكرام نبوءتى فسلنى غدًا عنها ، وما أنت ناسيا

سيدْبر شر كان بالأمس مقبلا ويقبل خير كان بالأمس نائيا

ويصعد نجم العرب فى الشرق ساطعًا

ونجم حليف العرب فى الغرب ساطيا

كفيلى بما أنبأت صدق رويَّة ترى الغد من مستقبل الدهر ماضيا

فلا انخدعت ، والحمد لله ، ضلةً ولا خدعت يومًا وفيّاً موافيا

غدًا ، فانتظرنى باليقين إلى غد وهاك التحايا قبله والتهانيا

* * *

بين التعب والراحة

قال المعرى :

تعب كلها الحياة فما أعجب إلا من راغب فى ازدياد

ويقول صاحب الديوان :

راحة كلها الحياة فما أعجب إلا من راغب فى ازدياد !

ما ابتغاء المزيد من يوم أمنٍ عاطل لا يزاد بالتعداد

فالزمان المريح تكرار شىءٍ واحد واطّراد حال معاد

* * *

هذا هو التاريخ

من جانب القبر لسان بدا يكذب ما شاء ولا يستحى

هذا هو التاريخ لو أننى صورته يومًا على المسرح !

* * *

النقد

أعطيتهم لؤلؤاً حرّاً فحين رأوا ... صغيرةً منه صاحوا : أى إفلاس !

وجادهم بالحصى غيرى فحين رأوا ... خُريزةً فيه قالوا : أكرم الناس

* * *

الظن

إذا خفت ظن الناس ظنوا وأكثروا

وإن لم تخفه أكرموك عن الظن

فإن شئت هَبْهم ألفَ عين ، وإن تشأ

فدعهم بلا عين تراك ولا أُذن

* * *

رأى الناس

من عوَّد الناس خيرًا طالبوه به ... كأنه الدَّين يُلوى بالمعاذير

ومن تعقَّبهم شرّاً فأمهلهم ... يومًا تقبَّل منهم أجر مشكور

لا رأى للناس فى نفع ولا ضرر ... وما لهم قط من حكم وتقدير

* * *

بين همّ وسآمة

أَتهتم بالدنيا ؟ فتلك حبيبة ... إليك فما تخليك يومًا من الهم

أَليس لها همٌّ ؟ فهاتيك خلة [1] ... صداقتها أَضنى من الهم للجسم

وما بين هم دائم أو سآمة ... خيار لمختار وحكم لذى حكم

فخذها على علاتها والق عيشها ... شقيّاً بعلم ، أو شقيّاً بلا علم

---

(١) الخلة هى الخليلة والصديقة .

الطيش والحزم

الطيش أَن تعمل ما تشتهى .. وقد يساوى النفعَ فيه الضرر
والحزم أَن تحذر ما تتقى وقلما يغنيك فيه الحذر
كُفؤَانِ إن وازنت حظيهما . . .
يا صاح . فاختر منهما ما حضر !

* * *

يا كتبى

فى ختام الجزء الأول من الأجزاء الأربعة المجموعة فى مجلد واحد قصيدة بهذا العنوان ، جاء منها هذه الأبيات :

يا كتبى أشكوا ولا أَغضب ما أنت من يسمع أو يُعتب
يا كتبى أورثتنى حسرة هيهات لا تُنْسى ولا تذهب
يا كتبى أَلبست جلدى الضنى لم يغن عنى جلدك المُذْهَبُ
كم ليلةٍ سوداءَ قضيتُها سهرانَ حتى أدبر الكوكب
كأَننى أُلمح تحت الدجى جماجم للوتى بلت تخطب [1]
والناس إما غارق فى الكرى أو غارقٌ فى كأسه يشرب
أو عاشق وافاه معشوقه فنال من دنياه ما يرغب
أو سادر يحلم فى ليله بيومه الماضى وما يُعْقبُ
ينتفع المرء بما يقتنى وأنت لا جدوَى ولا مأْرَب
إلا الأحاديث وإلا المنى وخبرةٌ صاحبها متعبُ

* * *

(١) الكتب فى الغالب موتى يتكلمون ، فإذا قرأت فيها فكأنك تصغى إلى جماجم تتكلم .

وختمت القصيدة بهذا البيت :

لا رحم الرحمن فيمن مضى   من علم العالم أَن يكتبوا

* * *

والقصيدة الجديدة فى هذا الديوان تشير إلى تلك الأبيات بما ورد فيها من المقابلة ، وهذه هى :

شكوتها والعمر فى فجره   فكيف بى لما دنا المغرب ؟
لما دنا المغرب صالحتها . . .   تلك التى تُشْكى ولا تغضب
تلك التى قلت لها مرة   والقلب دام والحشا ملهب
«يا كتبى أَورثتنى حسرة   هيهات لا تنسى ولا تذهب»
«ياكتبى أَلبست جلدى الضنى   لم يغن عنى جلدك المذهب»
فالآن يا كُتْبى تعالىْ لمن   أَخبثُ شىء عنده طيب
ما أَنت شر من عناء المنى   وهى التى فى صدقها تكذب
ما أنت أَقسى من شقاء الهوى   وهو الذى فى لهوه يتعب
ما أنت أَغلى ثمنًا ، إن غلا   من جوهر يكنز أو يعطب
ما أنت فى سكر وفى متعة   أَحْلى من السم الذى يشرب
ويحك ! إنا نحن من معشر   يسبق فينا «الدور» أو يعقب
غدًا سنمسى كلنا ما لنا   فى العيش إلا رَفُّك المُترِبُ
فليت لى إذ أنا تحت الثرى   جمجمة ثرثارة تخطب
رهطاً من القراء يرضوننى   رضاى عن بلواك إذ أغضب
يا كتبى ما شئت فلتحسبى   أو شاء قرائى فليحسبوا

* * *

عجز أو قدرة

علمينى كيف لم تضطربى بين أَسماء الأَقاصى والأَدانى
أَنا لو لاقــيت أُخــرى مــرة
خفت أن يخلط باسمين لسانى
الغوانى فى حجاب دائم . . . عبث كل سـفور للغـوانى
قـدرة فيـهن أم عجـز طغى أَم هما فى لحظة مجتمعان ؟
من فناء الغيد فى حاضرها نَسْيُها مَنْ غاب عنها كلَّ آن

جواب جميل

قال جميل ابن معمر صاحب بثينة :

ألا أيهــا النوام ويحكُمُ هُبُّــوا أسائلكم هل يقتل الرجلَ الحبُّ ؟

وأجيب بلسان أَحد النوام :

بربك دعنا راقـــدين فلو درى بنا الحب لم يرقد لنا أَبدًا جنب
وسل راقـدى الأجـداث[1] عنه فإنهم
مـجيـبـوك عن علم بمن قـتل الحب !

* * *

وقد سأل جميل بلسان الحال :

ألا أيهـا الأمـوات ويحكم هبـوا أسائلكم هل يقتل الرجل الحب ؟

---

(١) الأجداث هى القبور .

وقد أجيب بذلك اللسان :

أفق مــزعج الموتى فلو كنت قــادرًا

على أن تَهُبَّ اليـوم من صـرعـة هبـوا

ولستَ إلى أن يُسـمَعَ الصورُ سـامـعًا

هنا سـر مـقـتـول يبـوح به صب !

* * *

الفقير

ثروة المرء بما يطلبـــه لا بما يملكـه بـين يديـه

مالك الأرض فقيرٌ إن رعى مطلبًـا يطمح بالعين إليـه

والذى أَفـقـر منه طالبٌ وُدَّ قلبٍ مـا له وُدٌّ لـديه

* * *

ويلنا

من غـلا عنده السرور رخيص كـاسـد السوق فى كـبار الأمـور

والذى يسـتـحق كل سـرور عـجـبًـا يزدرى بكل سـرور !

إن غـلا عندنا النعيم رخصنا ويلنـا ويلنـا بـدار الغـــرور

* * *

سيان

إن قـيـل بالحق أو البـهـتـان

دعـهم يقـولون ، وقل سـيـان !

سـيـان مـهـمـا افـتـرق الضـدان

سـيـان مـهـمـا اختلف الخـصـمـان

سـيـان أَلفٌ هى أو أَلفـان
سـيـان بيـدٌ هى أو مـغـان [1]
سـيـان نور أو ظلام فـان
سـيـان من يلهـو ومن يعـانى
قلهـا ببـرهان ولا برهان
وأَنت أَنت أَحكم الزمـان
وإن تَصَـدَّوْا لك بالنكران
أو ضحكوا سخرًا فقل سيان !

* * *

أتمنى

أتمنى يومًا لو أن حياتى تنقضى كلها ولا أتمنى
أتمنى وقد أطلت التمنى لو تعلمت كيف أَن أتمنى
أَتمنى لو علمتنى الليالى باطل الأَمر قبل أن أتمنى
منية لو تحققت لتساوى ما تملكته وما أتمنى

* * *

الصِّرفُ والمزيج

رب ما بالنا نغصُّ بأَحلى ما شربنا وفيم يا رِب يحلو ؟
رب والعيشُ فيه حلو ومرٌّ لم لا يمحضان والأمر سهل؟
لم لا يصفوان فالشَّهد شَهد حين يعطى العبادَ والخلُّ خَلُّ
إنَّ خلاً يشوب شهدًا ضلال ولشهدٌ يشوب خَلاً أَضل !

(1) البيد : الصحارى والمغانى : الحدائق .

خداع النفس

يقول وما قضى عجبًا | فتى يخبط فى حدسه
أيخدع نفسه رجل | له عينان فى رأسه ؟
أجل يا صاح : عينان ! | وزد ما شئت من حسه
وهل أخدع للإنسا | ن بين الناس من نفسه
خداع النفس معهود | وقاك الله من دسه

كيمياء وصيرفى

قال ابن الرومى :

إن للحظ كيمياءَ إذا ما | مس كلبًا أحاله إنسانا

ولم يقل :

إن للحظ صيرفيًا أريبًا | يقتفى كِيمياءَهُ أحيانا

* * *

جنة الخيام

رغيفُ خبزٍ ووجهٌ | حلوٌ ، وكأس مدام
وتلك جنة عدنٍ | فى مذهب الخيام [1]

* * *

قالوا : ونودى يومًا | ما تشتهى فى يديكا
دع مطلبًا منه فردًا | والباقيان لديكا

---

1) عمر الخيام : الشاعر الفيلسوف الفارسى ، وله رباعية بهذا المعنى .

فـحـــار بين رغــيف   إن فـاته مـات جـوعـا
وبين وجـــهٍ منيـــر   إن غاب غابت جميعا

* * *

وبين كـــأس مـــدام   على الشــقـــاء تعين
لـولا خـــداع مناهاً   أفـــاق وهو غـــبين

* * *

طال التــردّد فـيــهـا   فـمـال عنهـا كظيمـا :
ســـألت جنة خلد   ومـا سـألت جـحـيمـا

* * *

قـــالوا فناداه صــوت   يقـــول فى غـــيـر رفق
كـــصــوت إبليس لولا   مـا فيـه من فرط صدق :

* * *

«أتــلــك جـنــة خـلــد   تهــذى بهـــا يا حكيم
بمطلب إن عـــداها   ترتدّ وهى جــحــيم ؟»

* * *

بيجو

« . . . صور كثيرة بقيت فى خلدى من الإسكندرية كأَنها صفحات مقسمة من معارض الفن والحياة والتاريخ .

وستبقى ما قدر لها البقاء .

وسيكون من أبقاها وأولاها بالبقاء صورة واحدة لمخلوق ضعيف أَليف يعرف الوفاء ويحق له الوفاء ، وذلك هو صديقى «بيجو» الذى فقدناه هناك .

وإنى لأَدعوه صديقى ولا أذكره باسم فصيلته التى أَلصق بها الناس ما أَلصقوا من مسبة وهوان ، فإن الناس قد أثبتوا فى تاريخهم أنهم أجهل المخلوقات بصناعة التبجيل وأجهلها كذلك بصناعة التحقير . . فكم من مبجَّل بينهم ولا حقَّ له فى أكثر من العصا . وكم من محقَّر بينهم ولا ظُلم فى الدنيا كظلمه بالازدراء والاحتقار .

وكنت أقدر أننى سأَخلو من العمل فى مجلس النواب ثلاثة أشهر الصيف الجديد ، فأَخلو بنفسى وبالبحر والصحراء فى مرسى مطروح ، أو فى السلوم ، وأفرغ هناك لتأْليف كتابى الذى جمعت له ما جمعت من الأخبار والوقائع عن الصحراء وأبنائها الأَقدمين والمحدثين . فلما تواصلت الجلسات أزمعت أَن أَقضى أيامًا فى القاهرة وأيامًا فى الإسكندرية من كل أسبوع ، ولم أصحب بيجو فى الرحلة الأولى ولا فى الرحلة الثانية ، ولا عزمت على اصطحابه بقية أشهر الصيف ، اكتفاء بأَن أراه أيام مقامى فى

القاهرة وأَن أعود إليه كل أسبوع . ولكنَّ المخلوق الأَمين الوفى أَرغمنى على مصاحبته كلما ذهبت إلى الإسكندرية وكلما رجعت منها . لأنه صام عن الطعام صومة واحدة فى الرحلة الثانية . وزاده إصرارًا على الصيام أَننا كنا نتركه فى كفالة الشيخ أحمد حمزة طاهينا القديم الذى يعرفه قراء كتابى «فى عالم السدود والقيود» .

والشيخ أحمد حمزة كما علم أُولئك القراء رجل يكثر الصلاة والوضوء ويعتقد نجاسة الكلاب فلا يَقْرَبُها إلا على مسافة أشبار . وبيجو مخلوق حساس مفرط الإحساس ، ما هو إلا أَن تبين النفور من الشيخ أحمد حتى قابله بنفور مثله أو أشد وأقسى ، فكنا إذا تعمدنا تخويفه وزجره نادينا : «يا شيخ أحمد» ! فإذا بيجو تحت أقرب كرسى أو سرير ، ثم لا يخرج من مكمنه إلا إذا أيقن أَن الشيخ أحمد حمزة بعيد ، جد بعيد .

فلما استحال التوفيق بينهما واستحال إقناعه بالعدول عن الصيام فى غيابنا أصبح بيجو من ركاب السكة الحديد المعروفين فى الذهاب والإياب . وأصبح يزاملنا من القاهرة إلى الإسكندرية ومن الإسكندرية إلى القاهرة كل أسبوع . وشاعت له نوادر فى معاكسته للموظفين ومعاكسة الموظفين له يتأَلف منها تاريخ وجيز . ثم أصابه فى الإسكندرية ذلك المرض الأَليم الذى كان فاشيًا فيها واستعصى علاجه على أطباء الحيوان ، فلزمته فى مرضه مخافة عليه من مشقة السفر وعلمت أَن الأَمل فى شفائه ضعيف ، ولكنى لم أجد مكانًا أولى بإيوائه من المكان الذى أراه ويرانى فيه .

وإنى لفى ظهيرة يوم بين اليقظة والتهويم إذا بهمهمة على باب لحجرتى وخدش يكاد لا يبين . ففتحت الباب فرأيت المخلوق المسكين قابعًا فى ركنه يرفع إلىَّ رأْسه بجهد ثقيل . وينظر إلىَّ نظرة قد جمع فيها كل ما تجمعه نظرة عين حيوانية أو إنسانية من معانى الاستعطاف والاستنجاد والاستغفار . أحس المسكين وطأة الموت فتحامل على نفسه وخطا من حجرته إلى باب حجرتى وجلس هنا يخدش الباب حتى سمعته وفتحت له وهو لا يزيد على النظر والسكوت .

كان اليوم يوم أحد . ولكنا بحثنا عن الطبيب فى كل مظنة لوجوده حتى وُجِد ، وشاءت له مروءته الإنسانية أن يفارق صحبه وآله فى ساعة الرياضة ليعمل ما يستطيع من ترفيه وتخفيف عن مريضه الذى تعلق به وعطف عليه ، ولكنه وصل إلى المنزل وبيجو يفارق هذه الدنيا التى لم يصحبها أكثر من سنتين .

سيبقى من صور الإسكندرية ما يبقى وسيزول منها ما يزول ، ولكنى لا أحسبنى ناسيًا ما حييت نظرة ذلك المخلوق المتخاذل ، يقول بها كل ما تقوله عينٌ خلقها الله ويودعها كل ما ينطق به فم بليغ من استنجاد واستغفار ، كأنه يعلم أنه أقلقنى ولا يحسب ما كان فيه عذرًا كافيًا لإقلاق صديقه .

ومن شهد هذا المنظر مرَّة في حياته علم أنه لا ينسى ، فإن لم يعلم ذلك فهو أقل الناس حظًا من الخلائق الإنسانية ، لأن البعد من العطف على الحيوان لا يجعل المرء بعيدًا من الحيوان . بل يقربه منه غاية التقريب . . .»

* * *

هذه كلمة من مقال نشر بمجلة الرسالة الغراء (٣ أكتوبر سنة ١٩٣٨) وفيها ما يصلح أن يكون مقدمة للقصيدة التالية . ولكنها مقدَّمة تفتقر إلى تتمة من مقال آخر نشر فى الرسالة أيضاً بعنوان «كلبى بيجو» قبل ذلك بنحو عام . وهذا هو المقال :

« . . . أنا أَكتب هذا المقال عن «بيجو» وهو ينظر إلىَّ ثم يذهب ويعود ليطل مرة أُخرى ، ولا يدرى أَننى أكتب عنه وأَشيد بذكره . وكل ما يدريه أَننى جالس فى هذا المكان الملعون الذى يحب كل مكان فى البيت غيره . وهو كرسى المكتب .

ففى كل مكان فى البيت يرانى مستعداً لملاعبته واستجابة نظراته والتفرج على فنونه وألاعيبه وقفزاته . أو يرانى مستعداً للإشارة إليه واستدعائه فإذا هو واثب وثبة واحدة إلى حيث يستوى على مكانه بجانبى ، ويغرينى بملاطفته ومجاملته أَن أبذل له الملاطفة والمجاملة وأحييه بعبارات التودد والمساجلة . . . ينتظر منى ذلك فى كل مكان إلا كرسى المكتب . فإذا جلست إليه لأكتب أو لأَقرأ فهو حائر لا يدرى ما يصنع : يدنو من الكرسى إلى مسافة قصيرة ثم يرفع رأسه وينظر ، ثم يعيد النظر كرة أُخرى . ولعله يسائل نفسه : ما بال صاحبى لا ينادينى ولا يجيبنى ؟ وما بال عينيه تتجهان أمامه وقلَّما تتجهان ناحيتى ؟ فإذا طال عليه التساؤل والترقب رجع أدراجه وغاب هنيهة ثم عاد إلى المكتب يترقب كلمة النداء أو نظرة الاستدعاء أو لمسة التربيت والاحتفاء ، ولا يزال كذلك حتى ييأس ويسأم فيولى وجهه شطر ألعوبة يتلهى بها أو شغلة أُخرى من الشواغل البديعة التى يفرضها على نفسه

ولا يفرضها أَحد عليه ، وأَولها حراسة الباب والعواء على من يصعدون السلم أو يهبطونه .

وقد تبعنى اليوم إلى المكتب ونظر إلىَّ قليلاً ثم غادر المكان الملعون يائسًا عابسًا دون أَن يلح فى الانتظار والمناورة . لأَنه تعلم بالمرانة الطويلة أَن الانتظار فى هذا المكان لا يفيد . وأَن الكلب العاقل الرشيد هو الذى يغادر مكان الكتب والأَوراق بغير تدبر ولا تأمل ولا إطالة . والحق معه حتى فى آراء الأناسى العقلاء الراشدين .

وقد أردت اليوم أن أدهشه وأخلف عادته فرفعت رأْسى من الورق فى بعض جيئاته وصحت به مناديًا : بيجو ! بيجو ! تعال ! إن كتابتى اليوم تعنيك . ألا تريد أَن تقرأ ما كتبت ؟ فوجم ولم يكد يصدق أُذنيه . وتردد لحظة ثم قفز إلى الكرسى فالمكتب حيث الورق الذى أَخط عليه هذا المقال . كأَنه يريد حقّاً أَن يقرَأه ويستطلع ما فيه ، وكأَنه لا يفضل بالعقل والرشد أُولئك الآدميين الذين يعنيهم ما يكتب عنهم الكاتبون كما ظننته لأَول وهلة .

ولكنه ما لبث أَن أخافنى من أَسلوبه فى القراءة والمطالعة .

لأَنه هو والتمزيق فى عرفه شىء واحد ، وهل هو بدع فى أُسلوبه وهذا شأْن كثير من الآدميين الذين أَكتب عنهم ؟؟! فنحيته برفق وحملته إلى الباب وأرسلته فى الدهليز وعدت إلى المكتب فأقفلته ، ولا أزال أَسمع نباحه يلاحقنى بلهجات تتراوح بين الاستغراب والشكاية والسباب ! .

ويجب أَن أَعترف للقراء بأَن كلبى «بيجو» ليس بكلبى على التحقيق ، ولكنه كلبى فى شريعة الدعوى والاغتصاب . أو هو كلب صديقى العزيز «فيفى» الذى لم يجاوز السنتين إلا منذ شهرين [1] . ولا أخاله إلا مطالبى به قريبًا بعد أن زال الموجب لإقصائه وهو انحراف صحته فى موعد التسنين وفيما أَصابه على أثر ذلك من مصاب أنقذه الله من خطره الشديد .

والأَصل فى المصائب أَن تجمع بين الأَصدقاء لا أَن تفرق بينهما كما افترق فيفى وصديقه بيجو . ولكن اللوم فى هذا الافتراق على صداقة بيجو دون غيرها – أى على إفراطه فى الصداقة لا على تقصيره فيها – فمعاذ الله أَن يتهم كلب بخيانة الأَصدقاء .

كان بيجو يرى «فيفى» على سريره ساكنًا من التعب والإعياء فلا يحسب أَن شيئًا تغير بينه وبين مولاه . ويقفز إلى السرير ليعرض خدماته التى لا يكل عنها ولا يتوانى فيها وهى المواثبة والملاعبةواصطناع العض والمصارعة ومولاه فى شاغل عن ذلك ، ولكنه هو لن يقبل العذر ولن يعرف شاغلا أَهم من تلك الخدمات المرفوضات .

وإذا أَقبل الطبيب وصرخ (فيفى) من مقاربته وجسه وفحصه كما يصرخ جميع الأَطفال من جميع الأَطباء فما هى إلا لمحة كأَسرع ما يكون لمح البصر وإذا بأنياب (بيجو) توشك أَن تنغرس فى ساق الطبيب الذى يعتدى على مولاه بما يبكيه ! أما إذا ربطوه

---

(١) هو موفق ، ابن الأستاذ حافظ جلال وكانوا يلقبونه «فيفى» .

اتقاءً لهذه المفاجآت فلا راحة ولا قرار فى البيت كله لا لمولاه العزيز ولا للنائمين حوله أو الساهرين عليه .

لهذا عوقب (بيجو) على إفراط صداقته بالنفى من جوار مولاه فى أثناء توعكه وانحراف مزاجه ، ورضيت أنا أن أتولى مؤاساته وحراسته أيام منفاه حتى تنجلى الغاشية فيعود إلى مأواه .

وما انقضت فترة وجيزة حتى أصبح (بيجو) شخصية من شخصيات البيت المعدودة . وحتى فرض على نفسه واجباتٍ وأعمالا لم يفرضها عليه أحد ، ولكنه يغضب ويتذمر إذا أنتً قاطعته فيها أو عوَّقته عنها ، كأنك تحسبه مخلوقًا عاطلا لا يصلح لعمل ولا يؤتمن على واجب . . . عرف الفرق بين جرس التليفون وجرس الباب فلا يدق هذا أو ذاك إلا أسرع إلى الإجابة وغضب من الخادم كلما سبقه إلى غرضه ، فتظاهر بَعَضِّهِ والوثوب عليه .

ومن عجائب ذكائه أنه إذا سمع جرس الباب أسرع إلى الباب ولم يفعل كما تعوَّد أن يفعل حين يسمع جرس التليفون . مع أن جرس الباب يدق فى المطبخ حيث يكون الخادم ولا يدق فى المكان الذى يجرى إليه . ولعله عرف أن فتح الباب هو المقصود بدق الجرس فى المطبخ كلما جرى الخادم لفتحه على إثر سماع دقاته ، ولكنَّ تفريقه بين الجرسين براعة تشهد له بالقدرة على مزاولة الأعمال والواجبات .

ومن الأعمال والواجبات التى فرضها على نفسه ولم يفرضها عليه أحد أنه لا يدع إنسانًا ولا حيوانًا يصعد السلم إلا أدركه بنباح الاحتجاج من وراء الباب ، فيعدو أمامى ويعود إلىَّ ولا يزال

يرقص ويتوثب حتى أجزيه على استقباله بالتحية الواجبة والتربيت المحبب إليه . ألأَجل الطعام يهش لى (بيجو) هذه الهشاشة ويرعانى هذه الرعَاية ؟ أنا أَود من الباحثين فى طبائع الحيوان أن يراجعوا ملاحظاتهم وأحكامهم فى أسباب التألف والمودة بين الحيوان والإنسان . فإن إطعام الكلب ولا شك سبب من أَسباب وفائه وتعلقه بأَصحابه . ولكن لا شك أيضًا فى أَن الكلاب تفهم للمودة أسبابًا غير الإطعام وتدرك معنى من معانى الصلة النفسية ليس مما يرتبط بالمنافع .

وأَوضح دليل على ذلك أَن (بيجو) يعتبر نفسه تابعًا لمولاه (فيفى) ولا يعتبر نفسه تابعًا لأَبيه أو خادم أَبيه وكلاهما يطعمه ويلاطفه ويسقيه . أما (فيفى) فهو لا يطعمه ولا يسقيه ولا يتورع عن خطف طعامه إذا ساغ فى مذاقه ، وقد يتبرم به فيضربه أو يقبض على لسانه أو يضع إصبعه فى عينيه ، وبيجو فى كل ذلك لا يقابل الأذى بمثله ولا يفتأ متعلقًا بالطفل أشد من تعلقه بآله وذويه .

فلما زارنى (فيفى) مع أَبيه بعد شفائه ونجاته من خطره كان المعقول المنظور أَن يخف (بيجو) إلى الأَب الكبير الذى يعنى بإطعامه وإيوائه ويشمله بمودته . غير أنه التفت أول ما التفت إلى (فيفى) العزيز دون غيره ، وتهافت عليه يعانقه ويلحس وجهه بلسانه ويئنّ أنينًا من فرط حنينه وفرحه ، وجهدنا جهدًا شديدًا فى التنحية بينه وبين مولاه الصغير لفرط ما أَرهقه بتحياته ومجاملاته . وكنا سبعةً منا أستاذ فى علم الزراعة والحيوان وأَخ له

أديب جمّ الإطلاع وصديق مهذب من أدباء الموظفين وسيدة إنجليزية وابنها اليافع ووالد فيفى وكاتب هذه السطور . فأتعبنا الكلب الأمين الودود جد التعب ونحن نبعده من هنا فيرجع من هناك على حال من اللهفة والاشتياق تجلب الدمع إلى الآماق . فماذا بين بيجو ومولاه فيفى من البر والمجاراة غير الصلة النفسية التى لا شأن لها بالطعام والشراب ؟ ولماذا يحسب نفسه تابعًا للطفل ولا يحسب نفسه تابعًا لأبيه ؟ إنه لا يفقه أنهم اهدوه إلى فيفى الصغير ليكون لعبته وحارسه وعشيره ، ولكنه قد يفقه أنه نِدُّه وقرينه بواشجة الطفولة والملاعبة الصبيانية ، وهى على كل حال واشجة غير وشائج المنافع والطعام والشراب .

ويشبه هذا فى الدلالة على إدراك الخلائق العجماء للصلات النفسية أن (بيجو) لا يطيق (الطاهى) أحمد حمزة ولا يرتاح إلى رؤيته ولا يسمع النداء على اسمه حتى يحسبه تهديدًا له بالعقوبة والإقصاء . . . وهو مع هذا يألف فراش المنزل (محمدًا) ويهش له ويستريح إلى مصاحبته فى المنزل وفى الطريق . فَلِمَ كانت هذه التفرقة عنده بين هذا وذاك ؟! كلاهما يقدّم له الطعام ، ويزيد صديقه (محمد) بتجريعه الدواء الذى يتعاطاه لعلاج السعال أَحيانًا وهو يمقته وينفر منه أشد النفور . غير أن الطاهى (أحمد حمزة) يتحاشى (بيجو) خوفًا من النجاسة فيشعر (بيجو) بِجَفائه ويلقاه بمثله ، ويحتمل التجريع والغصص من زميله لأنه يحتفى به ويأنس إليه .

ومن إدراكه (للمعانى) الفكرية أنك إذا لمسته بالعصا وهو غافل

عن رؤيتها فهو لا يبالى ولا يحفل ولا يحسبك غاضبًا أو قاصدًا لعقابه . ولكنه إذا التفت إليك ورأى أن العصا هي عصا التأديب التى تخوّفه بها ظهر عليه الرعب أو ظهر عليه الأسف والتوسل ، كأنه يقرن بالعقاب معنى غير معنى الضرب وألمه ، وهو استياء سيده وإعداده له عدة العقاب . . .

والخلاصة أن (بيجو) مخلوق مفيد ومخلوق أنيس ، وهو أفيد ما يكون فى المكتبة التى يمقتها ويستثقل ظلها ، لأننى استفدت على يديه فوائد جليلة وأنا أقرأ بعض الكتب الحديثة فى علم النفس وعلم الاجتماع .

يقول علم النفس : إن التعاطف فى التربية والتعليم أنفع وأنجع من تبادل الأفكار ، وبيجو يؤكد لى ذلك لأننى أرى منه أن الكلاب أسرع تعلمًا من القردة وهى أرفع فى مرتبة التكوين والإدراك . وإنما فاقت الكلاب القردة بسرعة التعلم لأنها عاشرت الإنسان طويلا فاتصلت بينه وبينها العاطفة وإن لم يتقارب بينه وبينها تركيب الأعصاب والدماغ .

ويقول علماء الاجتماع من أنصار (الفاشية) . إن الغرائز لا تتبدل وإن الحرب والعدوان غريزة الإنسان . فلا فائدة لوعظ الواعظين بالسلام ونصح الناصحين بالإخاء والعدل والمساواة . وبيجو يُدّحِضُ ذلك أيما إدحاض ، لأنه تحدر من سلالة الذئاب فما زالت به التربية والمصانعة حتى أصبح حارس الأطفال والحملان . وقد كان قبل ذلك آفة كل طفل من بنى الإنسان وكل صغير أو كبير من أبناء الضأن .

ويعد (بيجو) بحق من أحسن الشراح للعالم الروسى العظيم (بافلوف) صاحب التجارب المشهورة فى إخوان بيجو من الكلاب الروسية . فإنه جرَّب أن الكلب يسيل لعابه إذا شاهد الطعام . فقرن بين تحضير الطعام له ودق الجرس على مقربة منه . فإذا بفمه يتحلب كذلك كلما دق الجرس ولو لم تصحبه رؤية طعام فبنى على ذلك مذهبه فى مقارنات العواطف ومصاحبات الشعور وظواهره الجسدية .

وجاء علماء النفس والتربية فاستفادوا من ذلك فوائد شتى فى علاج الخوف والجشع والعادات الذميمة التى يصعب علاجها فى بعض الأطفال ، فجعلوا يقرنون الشىء المخيف بالشىء المحبوب ليعوِّدوا الطفل أن يسكن إليه ولا يخشاه ، ويقرنون الشىء المرذول الذى يحبه الطفل بالشىء المزعج الذى يقصيه عنه وينفره من إتيانه ليقلع عن ذميم الخلال بداهة وعفوًا بغير أمر ولا إلحاح .

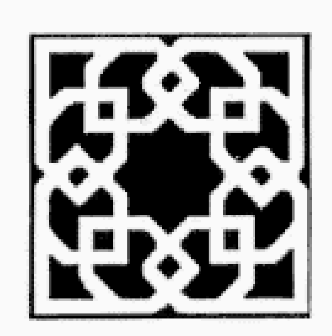
بيجو خير مفسر لهذا المذهب النافع الذى كان الفضل الأول فيه لواحد من أبناء جنسه . فقد عهدته فى منزله الأول وليس أبغض إليه من السلسلة والطوق ، لأنهم كانو يقيدونه بهما فى حديقة الدار كلما أضجرهم بعبثه وفضوله .

فلما جاء عندى وليس للمنزل حديقة واسعة أُطلقه فيها أصبحت السلسلة والطوق من أحب الأشياء إليه وأدعاهما إلى طربه وابتهاجه . . . لأنه تعوَّد كلما ربط بالسلسلة والطوق أن يخرج مع الخادم لغشيان الطريق وقضاء ساعته المنذورة للمرح والرياضة فى الخلاء .

ولبيجو فنون أُخرى يشارك فى تفسيرها وتفهمها وفضائل شتى يتبرع بهداياها ومزاياها ، وإن فى بعض هذا لما هو حسبنا من تقدير للأستاذ بيجو والصديق بيجو والزائر الكريم بيجو . الذى نخشى أَن نسطو عليه ، لفرط ما نستفيد منه ونأنس إليه .

* * *

والآن وقد عرف القارئ من هو (بيجو) لا أَرانى بحاجة إلى اعتذار من الحزن والوفاء لذكراه . فإنه لم يخطئ فى وفائه ولم يخطىء فى خِلقته . ولم يخلق إنسانًا فدنس الإنسانية بالغدر ، ولكنه خلق كلبًا فشرَّف الحيوانية بالوفاء .



بيجو

حزنًا على بيجو تفيض الدموع
حزنًا على بيجو تثور الضلوع
حزنًا عليه جهدَ ما أستطيع
وإن حزنًا بعد ذاك الولَوع
والله - يا بيجو - لحزن وجيع

* * *

حزنًا عليه كلما لاح لى
بالليل فى ناحية المنزل
مسامرى حينًا ومستقبلى
وسابقى حينًا إلى مدخلى
كأنه يعلم وقت الرجوع

* * *

وكلما داريت إحدى التحفْ
أخشى عليها من يديه التلف
ثم تنبهت وبى من أَسف
أَلا يصيب اليوم منها الهدف . . .
ذلك خير من فؤاد صديع

* * *

حزنى عليه كلما عزنى
صدق ذوى الألَباب والألسن
وكلما فوجئت فى مأمنى

وكلمــا اطمــأَننت فى مــسكنى
مــسـتـغنيًـا . أو غــانيًـا بالقنوع

* * *

وكلمــا نادتيــه ناسـيــا :
بيــجــو ! ولم أبصــر به آتيــا
مـداعـبًـا مبـتـهـجـا صـاغـيـا . . .
قــد أَصـبح البـيت إذن خــاويا
لا من صـدى فـيـه ولا من سـمـيع

* * *

نسيت ؟ لا . بل ليتنى قد نسيت
حــسـبنى ذاكِـرَهُ مــا حــيـيت
لو جـاءنى نسـيـانه مــا رضـيت
بيـجـو مُـعَـزِّىَّ إذ مــا أَسِيتُ [1]
بيـــجـــو مناجِىَّ الأَمينَ الوديع

* * *

بيـجـو الذى أَسـمع قـبل الصـبـاح
بيــجــو الذى أرقب عند الرواح
بيـجـو الذى يزعـجنى بالصــيـاح
لو نبــحــةً منه ، وأَين النبـــاح ؟
ضـيـعت فـيـهـا اليـوم مـا لا يَضيع

* * *

خطوته . . يا برحـــهـــا من أَلم
يخــــدش بابى وهو ذاوى القــدم

---

(١) أسيت : شعرت بالأسى .

مستنجداً بى . ويح ذاك البَكَمْ !

بنظرة أنطقَ من كل فم

طول ما ينظر . ! هذا فظيع

* * *

نَمْ لا أَرى النوم لعينى تطيب

أنتم خبيرون بنهش القلوب

يا آلَ قِطْميرَ هواكم عجيب (١)

غابَ سَنا عينيك عند الغروب

وتنقضى الدنيا . . . ولا من طلوع

* * *

نم واترك الأَفواج يوم الأَحد

والبحر طاغ والمدى لا يُحَدّ

عيناى فى ذاك وهذا الجسد

عيناى فى ذاك وهلذا الجسد

بوشحة القلب الحزين انفرد

والليل . والنجم . وشعب خليع !

* * *

أَبكيك . أبكيك وقلّ الجزاء

يا واهب الود بمحض السخاء

يكذب من قال طعام وماء

لو صح هذا ما مَحَضْتَ الوفاء

لغائب عنك . وطفل رضيع

---

(١) قطمير هو اسم كلب أهل الكهف .

الفهرس

الموضوع	الصفحة